قوله: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ آل عمران: ٦٩، سبب إنزالها أن اليهود قالوا لعمار[(١)] ومعاذ[(٢)]: «تركتما دينكما واتبعتما دين محمد -ﷺ- فنـــزلت». ذكره ابن عباس[(٣)].

قال جماعة: أجمع أهل التفسير أن الآية نزلت في معاذ وعمار وحذيفة[(٤)] «وذلك أن يهود بني قينقاع وقريظة[(٥)] والنضير[(٦)] دعوهم إلى دينهم؛ فنزلت»[(٧)].

---

(١) هو: عمار بن ياسر بن عامر العنسي، صحابي جليل، من السابقين إلى الإسلام، توفي سنة (٣٧) هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٦/٣)، سير أعلام النبلاء (٢٤٥/٣).

(٢) هو: معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، صاحب رسول الله ﷺ، توفي سنة (١٧) هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٦٤/٢)، سير أعلام النبلاء (٢٦٩/٣).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النـــزول ص (١٠٩) عن معاذ بن جبل وحذيفة وعمار بن ياسر، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٢/١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٢)، وينظر: العجاب في بيان الأسباب لابن حجر (٣٥٤/١).

(٤) هو: حذيفة بن اليمان العبسي، صحاب جليل، صاحب سرّ رسول الله -ﷺ- توفي سنة (٣٦)هـ ينظر: الطبقات الكبرى (١٥/٦)، سير أعلام النبلاء (٢٧/٤).

(٥) قريظة: قبيلة يهودية، نزلت بالمدينة وكانوا حلفاء الأوس، نقضوا العهد مع النبي -ﷺ- عام الخندق، فقتل رجالهم وسبى ذراريهم. ينظر: الأنساب للسمعاني (٣٧٩/١٠)، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٢٦/٣).

(٦) بنو النضير: حي من يهود خيبر، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظاراً منهم لمبعث النبي محمد -ﷺ- وقريتهم كان يقال لها: زهرة. ينظر: الأنساب للسمعاني (١٢٩/١٣)، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (٣١٤/٣).

(٧) هكذا ذكر في أسباب النـــزول للواحدي ص (١٠٩)، والجامع لأحكام القرآن(٤٧٥/٢) دون أن يحكيا إجماعاً، وممن نقل إجماع المفسرين على ذلك أبو حيان في البحر المحيط (٥١٣/٢)، وأصله ما ذكره مقاتل في تفسيره: (١٧٦/١)، ولم يذكر معاذاً ﷺ، وأورده نحوه ابن عطية (١٩٦/١) عند الآية (١٠٩) من سورة البقرة. وينظر: معالم التنزيل (٥٣/٢)، زاد المسير (٤٠٤/١)، الجامع لأحكام القرآن (١١٠/٤).

وقيل: الذين دعوا هؤلاء النفر اليهود ونصارى نجران، وهذا ليس ببعيد، لأن السياق دال على ذلك، ولأن السورة مصدرة بالمجادلة مع النجرانيين، ولأن أهل الكتاب شامل لهم أيضاً[(١)]. **وقيل**: سببها أن اليهود عيرت عماراً ومن ذكر معه بوقعة أُحُد، وقالوا: «لو كنتم على الحق لما أصابكم ما أصابكم، يقصدون بذلك فتنتهم ورجوعهم عن دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية رابطة على قلوبهم»[(٢)]. والوِدادة التمني، يحرص على ذلك المتمني[(٣)].

وقد فرق الراغب فقال: إذا كان ودّ بمعنى أحب لا يدخل فيه «لو» أبداً[(٤)].

وقال أبو مسلم الأصفهاني[(٥)]: ودّ بمعنى: تمنّى، فتستعمل معها «ولو» و«أن»، وربما جُمع بينهما، فيقال: وددتُ أنْ لو فعل. ومصدره الودادة، والاسم/ منه وُدٌّ [٢٥/أ] [تقول: بودي لو كان كذا. وبمعنى أحب فيتعدى تعديه، والمصدر المودة، والاسم منه

---

(١) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي (١٠٤٢/٢)، زاد المسير (٢٩٢/١)، البحر المحيط (٥١٣/٢).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النـــزول عند آية (١٠٩) سورة البقرة ص (٣٨)، وينظر: زاد المسير (٢٩٢/١)، العجاب في بيان الأسباب (٣٥٤/١)، قال الحافظ: لعله من تفسير الكلبي.

(٣) ذكر ذلك الطبري فقال: (ودت): تمنت. جامع البيان (٤٨٩/٥).

(٤) تفسير الراغب (٦٢٧/١) بتصرف. وينظر: المفردات ص (٨٦٠). وقال الزركشي في البرهان في علوم القرآن (١٦٧/٤) بعد ما أورد كلام أبي مسلم هذا: فكان الأحسن الردّ عليه بكلامه وهو أنه جوّز إذا كان بمعنى الحال دخول (أنْ) وهي للمستقبل، وقد خرجت عن موضعها. وينظر: إعراب القرآن لابن سيده (٧٤/٣).

(٥) نسبة إلى أصبهان وهي: مدينة في الجزء الغربي من وسط إيران، ويقال أيضاً: أصفهان، يرقى تاريخها إلى عهد الميديين، فتحها المسلمون حوالي عام (٢١)هـ، بلغت أوجها في عهد الصفويين (الرافضة)، واشتهرت بصناعة السجاد. ينظر: معجم البلدان (٢٤٤/١)، دائرة المعارف الإسلامية (٢٥٨/٢)، موسوعة المورد (٢٠٨/٥).

الوُد بضم الواو، وقد يتداخلان في المصدر والاسم[(١)] [(٢)]. وقال الرماني: إذا كان وَدَّ بمعنى تمنى صلح للماضي والحال والمستقبل، وإذا كان بمعنى أحب وأراد لم يصلح إلا للماضي؛ لأن الإرادة كاستدعاء الفعل، وإذا كان للحال والمستقبل جاز «أن» و«لو»، وإذا كان للماضي لم يجز «أن»؛ لأنَّ «أنْ» للمستقبل[(٣)]. وناقشه الشيخ فقال: وما قاله فيه نظر، ألا ترى أنَّ «أن» توصل بالفعل الماضي، نحو: «سرني أنْ قمت»؟![(٤)]. و﴿مِّنْ أَهْلِ﴾ يجوز أن تكون ﴿مِّنْ﴾ للتبعيض، وهو الظاهر، فتكون في موضع رفعٍ نعتاً لطائفة[(٥)] أي: طائفة هي بعض أهل الكتاب[(٦)]، وقد تقدم من هم[(٧)].

والثاني: وإليه ذهب ابن عطية - أنها لبيان الجنس[(٨)]، كأنه يعني أن المراد بالطائفة جميع أهل الكتاب، وهو بعيد خبراً. وعلى هذا؛ فتتعلق بمحذوف على ضمير

---

(١) تفسير الراغب (٦٢٧/١) بتصرف، المفردات (ودد) ص (٥٣٢)، البحر المحيط (٥١٣/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف بالحاشية في عرض الصفحة.

(٣) نقل كلام الرماني الراغب في تفسيره (٦٢٧/١)، وأبو حيان في البحر (٥١٣/٢).

(٤) البحر المحيط (٥١٣/٢).

(٥) الطائفة: جمع طائف، وهو الذي يطوف، وذلك اعتباراً بطوافهم بالبيت وغيره من متعبداتهم، ولطوافهم في أسفارهم، ثم سمي كل جمع طائفة طافوا أو لم يطوفوا، كتسميتهم بالرفقة ترافقوا أو لم يترافقوا. وفسروا الطائفة بالواحد فما فوقه، أخْذًا من قوله: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ التوبة: ١٢٢ ينظر: العين (٤٥٨/٧)، تهذيب اللغة (٤٥/١٤)، معاني القرآن للنحاس (٤١٩/١)، لسان العرب (٣٧٣/٤)، الصحاح للجوهري (١٣٩٧/٤)، القاموس المحيط ص (٧٥١)، تفسير الراغب (٦٢٥/١).

(٦) ممن اختار هذا القول الطبري في جامع البيان (٤٨٩/٥)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز الوجيز (٢٥٠/٢)، الرازي في التفسير الكبير (١٠٠/٨)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٧٥/٢).

(٧) ذكره قبل قليل عند سبب نزول الآية بأن اليهود قالوا لعمار ومعاذ ...

(٨) المحرر الوجيز (٢٥٠/٢).

عن الجهة التي تعلقت به حال كونها صفة، إذ التقدير في الأولى: طائفة كانت من أهل الكتاب، وفي الثاني: أعني. وتقدم أن «لو» في مثل هذا التركيب فيها وجهان:

أحدهما: أنها مصدرية، [فتكون وما في حَيّزها في موضع المفعول، تقديره: ودت طائفة إضلالكم](١)(٢).

والثاني: أنها على بابها(٣)، [فتكون حينئذٍ...](٤)، وتقدم تحرير ذلك

في الحزب الثاني من البقرة(٥)، أي: يضلونكم بإغوائهم عن دين الإسلام، أو يكون المعنى: يجعلونكم ضالين(٦).

ثم أخبر أن إضلالهم -أي وباله وما يترتب- لا يتعداهم وإنما يصفهم أنفسهم لا إياكم، حماية من الله لكم، أي: وما يعود وبال إضلالهم إلا على أنفسهم، لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم في أنفسهم وإضلالهم غيرهم(٧).

ويجوز أن يكون التقدير: وما يقدرون على إضلالكم أنتم إنما يقدرون على إضلالهم أمثالهم وأشياعهم(٨)، كقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ النور: ٦١.

---

(١) ينظر: مغني اللبيب ص (٣٤٩)، البحر المحيط (٥١٣/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية.

(٣) ينظر: الجنى الداني ص (٢٨٧).

(٤) هاهنا لحق في الحاشية بمقدار سطر ذهب بالتجليد وبقيت أطراف الكلمات لا تقرأ.

(٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ البقرة: ١٠٩. وينظر القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، تحقيق عبد الله الصاعدي ص (١٥٥).

(٦) ينظر: جامع البيان (٤٨٩/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢).

(٧) ينظر: جامع البيان (٤٩٠/٥)، التفسير الكبير (١٠٠/٨).

(٨) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٢/٢)، مدارك التنزيل للنسفي (٢٦٤/١)، إرشاد العقل السليم (٤٩/٢).

ونقل ابن عطية عن الطبري إن الإضلال في الآية بمعنى الإهلاك[١]، أي: لو يهلكونكم[٢]، واستدل - يعني الطبري - بقول جرير بن الخطفي[٣]:

كُنتَ القَذَى في موجِ أخضر مُزْبِدٍ   قَذف الأتِـــيُّ به فَضَلَّ ضلالا[٤]

ويقول النابغة:

فآبَ مُـــضِلُّوه بِعَــيْنٍ جَــلِــيَّةٍ   وغُودِر بالــجَوْلانِ حِزمٌ ونائلُ[٥]

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤٨٩/٥)، المحرر الوجيز (٢٥٠/٢)، زاد المسير (٢٩٢/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢)، البحر المحيط (٥١٣/٢).

(٢) استدل الطبري على هذا المعنى بقوله: الإضلال في هذا الموضع الإهلاك، من قول الله عز وجل: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ ﴾ السجدة: ١٠، يعني: إذا هلكنا. جامع البيان (٤٨٩/٥).

(٣) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي، الشاعر المشهور من تميم، ولد وتوفي باليمامة، وكان يساجل شعراء عصره، نقائضه مع الفرزدق هي الأشهر، له ديوان، توفي عام (١١٠)هـ. ينظر: الشِّعر والشعراء ص (٤٧١)، طبقات فحول الشعراء ص (٢٩٧).

(٤) ينظر: ديوانه: ص (٥٠). وقوله: "كنت"، يعني جريرا، وهو جواب "إذا". و(القذى) ما يكون فوق الماء من تبن وورق وأعواد. ينظر: لسان العرب (١٧٢/١٥) مادة: (قذي). ومزبد: بحر هائج مائج يقذف بالزبد. ينظر: لسان العرب (١٩٣/٣) مادة: (زبد). والأتي: السيل الذي يأتي من مكان بعيد. ينظر: اللسان (١٦/١٤) مادة: (أتى). وقوله: "قذف الآتي به"، صفة للقذى. يقول : كنت عندئذ كالقذى رمى به السيل في بحر مزبد لا يهدأ موجه، فهلك هلاكا. ينظر: اللسان مادة: (أتى).

(٥) ينظر ديوانه: ص (١٥٥)، تهذيب اللغة (٤٦٥/١١). آب أي: ورجع بعين جلية: أي بخبر بخبر متواتر صادق يؤكد موته، ويصدق الخبر الأول،، وجَلَّى الشيء أي كشفه، وتجلّى الشيء أي تكشَّف. ومعنى مُضلوه: أي دافنوه، بعين جلية: أي بخبر يقين، والنائل: العطاء؛ أي بترك الموصوف بالحزم والكرم فقد تُرك الوصفان حيث دُفن. والجولان: موضع بسوريا في الشام من أعمال حوران. ينظر: اللسان مادة (جلل)، معجم البلدان (٢٠٥/٢)، لسان العرب (٢١٧/١) مادة: (أوب)، (١٥٠/١٤) مادة: (جلا)، (٣٩٥/١١) مادة: (ضلل)، (٦٨٣/١١) مادة: (نول).

قال ابن عطية: وهذا تفسير غير مخلِّص ولا خاصٍ باللفظة. وإنما اطرد له لأن هذا الضلال في الآية وفي البيت اقترن به هلاك، وأما أن تفسر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم، انتهى[(١)].

/ يعني أن اللفظة ليست موضوعة للهلاك، وإنما ساعد الطبري هذا التفسير في [٢٥/ب] الآية والبيت اقتران الضلال بالهلاك، أي معنى الهلاك لا مادة (هـ ل ك)، لأن الآية والبيتين ليس فيهما ذلك[(٢)].

وقال بعضهم: وأصل الضلالة في اللغة الهلاك، ومنه: ضل اللبن في الماء؛ إذا صار مستهلكاً فيه[(٣)].

قلتُ: وقد فسر بعضهم: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ السجدة:١٠، أي: هلكنا وصرنا تراباً[(٤)].

وقيل: يوقعونكم في الضلال بسبب ما يُلْقُونه إليكم من التشكيكات، قاله الفارسي[(٥)]. قلت: ويؤيده ما تقدم من أن اليهود عيروهم بوقعة أحد، وقالوا: لو كنتم على الحق لما غلبتم. وقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾ آل عمران:٦٩، هذا مُنْبَنٍ على التفاسير المتقدمة في الإضلال الأول، فإن كان بمعنى الإهلاك؛ فالتقدير: وما يهلكون

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٢٥١). وينظر: استدراكات ابن عطية في المحرر الوجيز على الطبري في جامع البيان (١/٤١٥)؛ وملخص ما ذكره الدكتور/شايع الأسمري في المسألة: أن المعنى الذي ذهب إليه الطبري معنى صحيح في الجملة، وأنه لا يوافق ابن عطية على استدراكه.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/١١٠)، البحر المحيط (٢/٥١٤) ولم يوافق ابن عطية على استدراكه.

(٣) قاله ابن فارس في مقاييس اللغة (٣/٣٥٦) مادة (ضلّ). وينظر: مختار الصحاح ص (٢٨٦) (ضل)، لسان العرب (٨/٨٠) (ضلل).

(٤) تفسير القرآن للسمرقندي (٣/٣٥).

(٥) لم أقف على قول أبي علي هذا، وينظر: المفردات ص (٣٠٠)، ولسان العرب (ضلل) (١١/٣٩١)، البحر المحيط (٢/٥١٤).

إلا أنفسهم، لأنهم حين كذَّبوا رسول الله وأخبروا عليه بأنواع[١] استحقوا غضب الله ولعنه، ولا إهلاك أعظم من هذين[٢]. وإن كان معناه الإخراج عن الدين الحق والإدخال في الدين الباطل؛ فالتقدير: وما يخرجون بذلك إلا أنفسهم، لأنهم حين كذبوا الرسول كذبوا موسى وعيسى، لأنهما -عليهما السلام- أخبرا بوجوده وببعثته في آخر الزمان، بل كذبوا سائر الأنبياء، لأنّ من كذب نبيًّا -والعياذ بالله- فقد كذب سائر الأنبياء. وإن كان المراد الإيقاع في الضلال، فهم قد فعلوا ذلك بأنفسهم، لأنهم مع قدرتهم على الإيمان، وتمكنهم من التلبس به، واتصافهم بضده، أوقعوا أنفسهم في أقبح ضلال[٣]. ثم وصفهم بأقبح وصف، وهو سلبُ الشعور الذي هو من صفة الجمادات، أي فقدوا إدراك الحواس حيث لم ينتفعوا بما في المنافع الدينية؛ وإن كانوا بصراء سمعاء. والظاهر أنه لا مفعول ليشعرون، إذ المعنى أنهم ليسوا من أهل الشعور البتة[٤]. وقدَّر له جماعة مفعولاً على حسب ما يقتضيه السياق: فقدّره ابن الجوزي[٥]: أن الله يدل المسلمين على حالهم ويطلعهم على مكرهم وضلالتهم[٦]. وقدّره بعضهم: بأن ذلك الإضلال هو مختص بهم، أي لا يفطنون لذلك لّما دقّ أمره،

---

(١) كذا، ويبدو أنه سقط هاهنا شيء، كلمة «الكذب» أو نحوها.

(٢) ينظر: جامع البيان (٥/٤٩٠)، زاد المسير (١/٢٠١)، التفسير الكبير (٨/١٠٠)، الجامع لأحكام القرآن (٤/١١٠).

(٣) ينظر: زاد المسير (١/٤٠٤)، البحر المحيط (٢/٥١٤).

(٤) ينظر: تفسير الراغب (١/٦٢٧)، المفردات ص (٤٥٦).

(٥) هو: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي البكري، ابن الجوزي الجوزي البغدادي، الواعظ المفسر، صنف في فنون العلم، توفي سنة (٥٩٧) هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٣/١٤٠)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/٩٢).

(٦) زاد المسير (١/٢٩٢).

وخفي عليهم لِمَا اعترى قلوبهم من القساوة، فهم لا يعلمون أنهم لا يضلون إلا أنفسهم. ودلَّك ذلك على أن من أخطأ الحق -جاهلاً كان أو ضالاً- آثم مخطئ[(١)].

وقيل: تقديره: أنهم لا يصلون إلى إضلالكم[(٢)].

وقيل: تقديره: أنهم لا يفطنون لصحة الإسلام وواجب عليهم أن يعلموا لظهور البراهين والحجج[(٣)]. / وكلها تقديرات متقاربة. [٢٦/أ]

● قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ آل عمران: ٧٠.

هذا توبيخ لليهود والنصارى على كفرهم مع علمهم بحقية ما كفروا به، وشهادتهم بصحته، فإن كلام الكتابين؛ التوارة والإنجيل؛ الذين بأيديهم شاهد بصحة نبوة محمد وصحة كتابه المنزل عليه، وظهور معجزاته الخارقة، ومع ذلك عاندوا وكفروا، وهو أقبح أنواع الكفر[(٤)]. والاستفهام استفهام توبيخ وتقريع.

واختلف أهل التفسير في التعبير عن آيات الله؛ فعن ابن عباس: «هي التوراة والإنجيل، وكفرهم بها من حيث أنهم غيّروا أحكامهما، وحرفوا كلمهما»[(٥)]. وقيل: وقيل: كفرهم بهما كونهم لا يؤمنون بما نطقا به من صحة نبوة رسول الله ﷺ وغيرها[(٦)]. وعن قتادة[(١)]، والسدي[(٢)]، والربيع[(٣)]، وغيرهم[(٤)]: «إن المراد بالآيات

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤٩٠/٥)، الوسيط (٤٤٩/١)، المحرر الوجيز (٤٦٧/١)، زاد المسير (٢٩٢/١)، التفسير الكبير (١٠١/٨)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢)، البحر المحيط (٥١٤/٢).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٤/١)، البحر المحيط (٥١٤/٢).

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣٨٥/١)، زاد المسير (١٦٤/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان (٤٩١/٥)، المحرر الوجيز (٢٥١/٢)، التفسير الكبير (١٠١/٨)، الجامع الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢).

(٥) ينظر: تفسير الهداية (١٠٤٣/٢)، التفسير الكبير (١٠١/٨)، البحر المحيط (٥١٤/٢).

(٦) ينظر: الكشاف (٣٩٩/١)، التفسير الكبير (١٠١/٨)، تفسير النسفى (١٦٤/١).

بالآيات آيات التوراة والإنجيل الناطقة بوصفه -عليه السلام- والإيمان به»، يشهد له قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الأعراف: ١٥٧، الآية[٥]. وقيل: المراد بها معاجزه الكريمة، كانشقاق القمر، وانفجار الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى والطعام، وسعي الأشجار، وتكلم الحجر والجمل، إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصر[٦]. وقيل: هي آيات الكتاب العزيز، وذلك قولهم فيه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ﴾ الفرقان: ٤، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ﴾ القصص: ٣٦، ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الفرقان: ٥، إلى غير ذلك من قبائحهم[٧].

وقيل: هو ما أخبرنا به من أخبارهم وآثارهم وقصصهم، مما لا يطلع عليه إلا أهل التواريخ، وهم لا يشكّون أنه ليس من أهلها، فلم يبق إلا أن يكون من عند الله تعالى[٨].

==

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٤٩١/٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢٤٨/١) رقم: (٥٨٦).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٤٩٢/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٢/٢) مختصراً.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٤٩٢/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٣/٢).

(٤) كابن جريج فقد رواه الطبري عنه في جامع البيان (٤٩٢/٥)، وكذا ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣٣٤/٢) وهو بلفظ: وأنتم تشهدون أنَّ الدين عند الله الإسلام، ليس لله دِينٌ غيره. ونسبه ابن عطية أيضاً لابن جريج في المحرر الوجيز (٢٥١/٢).

(٥) ينظر: جامع البيان (٤٩١/٥). وينظر: تفسير السمعاني (٣٣١/١)، تفسير الراغب (٦٣٠/١)، المحرر الوجيز (١٢٠/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢)، إرشاد العقل السليم (٤٩/٢). [٢٦/ب]

(٦) ينظر: تفسير السمعاني (٣٣١/١)، تفسير الراغب (٦٣٠/١)، المحرر الوجيز (٢٥١/٢)، التفسير الكبير (١٠١/٨)، الجامع لأحكام القرآن (١١٠/٤)، البحر المحيط (٥١٤/٢).

(٧) ينظر: مجاز القرآن (٩٦/١)، تفسير ابن المنذر (٢٤٩/١) رقم (٥٨٨)، المحرر الوجيز (٢٥١/٢).

(٨) ينظر: البحر المحيط (٥١٤/٢).

وعن أبي علي: هي الآيات التي يُبيّن لهم فيها صدق محمد -عليه السلام- أو صحة نبوته، وأمروا فيها باتباعه[١]. وقيل: هي سائر كتب الله الدالة على صدق رسوله، فإنه لم يبعث نبيًّا إلا وأعلمه بنبوّة محمد ورسالته، وذلك النبي يعْلم قومه بذلك[٢]. والجملة من قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، في موضع نصب على الحال، أي: تكفرون بها والحال أنكم شاهدون بصحتها، وهذا أقبح لكم؛ وإن كان الكفر كله قبيحاً. وحذف متعلق الشهادة للعلم به[٣]، وتقديره بحسب ما تقدم من تفسير الآيات، فيقدر لكل ما يليق به: فعن قتادة: «وأنتم تشهدون بما يدل على صحتها من كتابكم الذي فيه البشارة»[٤]، أو تشهدون بمثلها من آيات الأنبياء التي تعترفون بها، فحينئذ لا بدع فيما جاء / به[٥] ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ الأحقاف: ٩. وقال الراغب: أو عنى ما يكون من شهادتهم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون[٦].

وقيل: معناه: تشهدون أن كتبكم التي بين أيديكم حق، وفيها الإيمان بمحمد والقرآن[٧]. وقيل: ﴿تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ تنكرون القرآن ومعجزاته، والحال أنكم

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٥١٤/٢).

(٢) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٢٧٥/١).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٤٠٠/١)، الكشاف (٣٧٢/١)، أنوار التنزيل (١٦٥/١)، إرشاد العقل السليم (٤٩/٢).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٨/١)، النكت والعيون (٤٠٠/١).

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (٣٣١/١)، النكت والعيون (٤٠٠/١)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢).

(٦) تفسير الراغب (٦٣٠/١)، المحرر الوجيز (٢٥١/٢).

(٧) ينظر: التفسير الكبير (١٠١/٨). وينظر معنى الشهادة في: مجاز القرآن ص (٩٦)، والمفردات ص (٤٦٥)، المحرر الوجيز (١٢٠/٣)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ص (٢٩٢).

أنكم تشهدون بقلوبكم أنه مُعْجز[١]. وقال الزمخشري: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ بالتوراة والإنجيل، وكفرهم بهما أنهم لا يؤمنون بما نطقا به من صحة نبوة رسول الله ﷺ وغيرها، وشهادتهم: اعترافهم بأنها آيات الله. أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين[٢]. أو تكفرون بآيات الله جميعاً وأنتم تعلمون أنها حق[٣]. انتهى ملخص الأقوال في الآيات، ورتب عليها المتعلق للشهادة.

- قوله: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٧١.

هذا توبيخ آخر، وناداهم بيا أهل الكتاب كما ناداهم أولاً لأنه أعظم في التشنيع عليهم، إذ كونهم أهل كتاب ينبغي ألا يصدر منهم مثل ذلك، لأن خلط الحق بالباطل في تشبيه أحدهما بالآخر تضليل، والتضليل كفر.

ويعني ذلك أنهم يتأولون الآيات الدالة على نبوّة رسول الله ﷺ على غير وجهها، ليلبسوا على عوامَّهم وجُهالهم، فيعتقدوا أنها على خلاف ما هي عليه من حجة نبوته[٤].

وهذا مطابق للفظ الآية، وإليه نحا الفارسي[٥]. وعن ابن عباس: «الحق إقرارهم إقرارهم ببعض أمره -عليه السلام- والباطل إنكار البعض الآخر»[٦]. وعنه أيضاً: «هما قوله قوله بعد ذلك ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ آل عمران:

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤٩١/٥)، تفسير الراغب (٦٣٠/١)، التفسير الكبير (١٠١/٨)، غرائب القرآن (١٨٤/٢).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٣٦٨/١).

(٣) الكشاف (٣٩٩/١).

(٤) ينظر: جامع البيان (٥٠٤/٦)، تفسير ابن المنذر (٢٤٩/١)، تفسير ابن أبي حاتم (٦٧٧/٢)، التفسير الكبير (١٠٢/٨).

(٥) الحجة (٢١٩/٢).

(٦) ينظر: جامع البيان (٥٠٤/٦)،، النكت والعيون (٤٠١/١)، وذكر هذا القول ابن الجوزي الجوزي في زاد المسير (٢٩٣/١) وقال: روي عن ابن عباس.

٧٢»[(١)]. وعن الحسن[(٢)]، وابن زيد[(٣)]:«الحق ما يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل من صفته، والباطل ما يكتبونه بأيديهم ويحرفونه بعكس ذلك»[(٤)]. وعن قتادة: «الحق إظهار الإسلام، والباطل إبطان التهوّد والتنصّر»[(٥)].

وقيل: هما الإيمان بموسى وعيسى، والكفر بمحمد ﷺ[(٦)]، أي أن اليهود آمنوا بموسى، النصارى بعيسى، ولا شك / أن هذا حق، وأن الفريقين كفروا بمحمد -عليه السلام-، ولا شك أن هذا باطل. وقيل: الحق إقرارهم بنبوة رسول الله ﷺ، [٢٧/أ]

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥٤/٦) بسنده عن ابن عباس وقتادة، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٤٠١/١) ونسبه لابن عباس وقتادة، ونسبه لهما الرازي في التفسير الكبير (١٠٢/٨). وينظر: تفسير الراغب (٦٣٢/١)، المحرر الوجيز (٢٥١/٢)، زاد المسير (٢٩٣/١).

(٢) الحسن: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري مولاهم، مولى زيد بن ثابت، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، توفي سنة (١١٠)هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٦٩/٢)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٥٧/١).

(٣) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، كان صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ، توفي سنة (١٨٢)هـ. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١٧٧/٦)، طبقات المفسرين للداوودي (٢٧١/١).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٩٤/٥) بسنده عن ابن زيد، وذكره الماوردي في النكت النكت والعيون (٤٠١/١)، والراغب في تفسيره (٦٣٢/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥١/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٣/١) ونسبه للحسن وابن زيد، والرازي في التفسير الكبير (١٠٢/٨)، وأبو حيان في البحر (٥١٥/٢).

(٥) أورده عن قتادة ابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٣/١) الحق : الإسلام، والباطل اليهودية والنصرانية. ومثله عن مجاهد في جامع البيان للطبري (٥٦٨/١)، ومثله عن ابن جريج في تفسير ابن المنذر (٢٥٠/١)، والأثر في تفسير ابن كثير أيضاً (١٥٢/١).

(٦) ينظر: جامع البيان (٤٩٢/٥)، النكت والعيون (٤٠١/١)، معالم التنزيل (٥٣/٢)، المحرر الوجيز (٢٥١/٢)، زاد المسير (٢٩٣/١)، البحر المحيط (٥١٥/٢)، تفسير ابن كثير (٣٥٢/١).

والباطل قول الأحبار[(١)]: ليس مبعوثاً إلينا بل إلى العرب؛ لأن شريعتنا لا تنسخ أبداً![(٢)]. وقرأ العامة: ﴿تَلْبِسُونَ﴾ بفتح التاء وسكون اللام وكسر الباء، من لَبَس - بالفتح - يَلْبِسُ[(٣)]، أي: خلط، وقيل: هو التغطية[(٤)]. وقرأ أبو مجلز[(٥)]: بضم التاء وفتح وفتح اللام وتشديد الباء[(٦)] والتضعيف للتكثير، نحو: ذبَّحت الكبش، وغلّقت الباب[(٧)]. ويحيى بن وثّاب[(٨)]: كالعامة، غير أنه فتح الباء[(٩)]، جعله من لَبِس الثوب على الاستعارة، جعل الحق المذكور كأنه شيء يلبس على الجسد، فاستعار له

---

(١) الحَبْر: بالفتح والكسر: العالم. وجمعه: أحبار. لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها. ينظر: المفردات ص (١٠٦)، النهاية (٣٢٨/١).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٢٥١/٢)، التفسير الكبير (١٠٢/٨).

(٣) اللَّبس في اللغة معناه: الخلط والتغطية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ الأنعام: ٩، أي: خلطنا عليهم الأمر ولبَّساه عليهم. وينظر: مجاز القرآن (٩٦/١)، معاني القرآن وإعرابه (٢٨٩/١)، تفسير ابن المنذر (٢٥٠/١)، معاني القرآن للنحاس (٤٢٠/١)، تفسير الراغب (٦٣١/١)، المحرر الوجيز (٢٥١/٢)، البحر المحيط (٥١٥/٢).

(٤) ينظر: زاد المسير (٢٩٣/١).

(٥) هو أبو مجلِز لاحق بن حميد السدوسي البصري، روى عن ابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك، وروى عنه قتادة وغيره، وثقه غير واحد، قدم خراسان ومات بالكوفة، مات سنة (١٠٦)هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢١٦/٧)، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٢٠/٦٤).

(٦) قراءة شاذة ذكرها في الكشاف (٣٦٥/١)، والتفسير الكبير (١٠٢/٨).

(٧) ينظر: البحر المحيط (٥١٥/٢)، والدر المصون (١٣٢/٢).

(٨) هو يحيى بن وثاب الأسدي الكاهلي الكوفي، تابعي، قرأ على أصحاب علي وابن مسعود ﷺ، كان ثقةً، توفي سنة (١٠٣)هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٩٩/٦)، معرفة القراء الكبار (٦٢/١).

(٩) قراءة شاذة، ذكرها في الكشاف (٢٩٩/١)، وشواذ القراءات للكرماني ص (١١٥)، وفي وفي مختصر الشواذ لابن خالويه ص (٤٢): (ويَلبسون) بفتح الياء.

اللبس[(١)]. قال الزمخشري: أي: تلبسون الحق مع الباطل، كقوله: «**كلابس ثَوْبَيْ زور**»[(٢)]، وقوله:

..... **إذا هو بالمجد ارتدى وتأزّرا**[(٣)]

ووراء ذلك قراءة شاذة لا تبعد عن الغلط، رُويت عن عبيد بن عمير[(٤)] وهي: ﴿**لِمَ تلبسوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وتكتموا**﴾ بحذف النون في الفعلين[(٥)]. قال السجاوندي[(٦)]: السجاوندي[(٦)]: ولا وجه له إلا أن «لِمَ» تجزم الفعل عند قوم كـ «لَمْ».

وقال غيره من المفسرين: لا وجه له سوى ما ذهب إليه شذوذ من النحاة في إلحاق «لِمَ» بـ «لَمْ» في عمل الجزم[(٧)]. وهذا الذي نقلوه لا يقوله نَحْويٌّ البتةَ، وذلك وذلك أن «لِمَ» جار ومجرور، فكيف يجزم به الفعل؟! فإن نقله من نقله فإنما هو

---

(١) قراءة شاذة: ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٩/١)، إعراب القراءات الشواذ (٣٢٥/١)، (٣٢٥/١)، التفسير الكبير (١٠٢/٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: النهي عن التزوير في اللباس وغيره، والتشبع بما بما لم يعط كلابس ثَوْبَيْ زور، ص (٩٠٩) رقم (٢١٢٩) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٣) نسب البيت إلى الربيع بن ضبع الفزاري، وإلى الفرزدق، وإلى رجل من بني عبد مناة. وصدره:

فلا أب وابناً مثل مروان وابنه ..... نصب (ابناً) عطفاً على موضع الأب. ينظر: الكتاب لسيبويه (٢٨٥/٢)، شرح التصريح على التوضيح للجرجاوي (٣٤٩/١).

(٤) هو: أبو عاصم الليثي وردت عنه الرواية في حروف القرآن وروى عن ثلة من الصحابة، وروى عنه مجاهد وعطاء، توفي سنة (٧٤)هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦/٦)، غاية النهاية في طبقات القراء (٤٩٦/١).

(٥) قراءة شاذة، ينظر: شواذ القراءات للكرماني ص (١١٥).

(٦) محمد بن طيفور الغزنوي أبو عبد الله السجاوندي، المفسر، المقرىء، النحوي، من تصانيفه: "علل القراءات" وكتاب: "الوقف والابتداء"، توفي سنة (٧٣٨)هـ. ينظر: طبقات المفسرين للأدرني (٢٧٤/١)، طبقات المفسرين للسيوطي (٨٧/١).

(٧) عين المعاني (٩٢٧/٣).

غلط، رأى صورتها في الخط واللفظ كصورة لم ولفظها -وإن اختلفت الحركتان- فجزم بها. وأقرب ما تخرّج عليه -إن صحّت عمن يوثق به- أن النون حذفت تخفيفاً من غير مقتضٍ لذلك، وقد ورد ذلك نثراً ونظماً، ذكره الشيخ جمال الدين ابن مالك[(١)] في كتبه، وأورد من النثر قوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده؛ لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**[(٢)]»، هذا نفي لا نهي، ومع ذلك حذفت هذه النون[(٣)]. وروي عن أبي عمرو أنه قرأ: ﴿**قالوا ساحران تظّاهرا**﴾[(٤)] / بتشديد الظاء الظاء فعلاً مضارعاً، والأصل يتظاهران فأدغمت الياء في التاء، وحذفت النون تخفيفاً[(٥)]. [٢٧/ب]

وأنشد قول الشاعر:

أبِيتُ أسري وتبيتي تدلــكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي[(٦)]

يريد: وتبيتين تدلكين.

وقول أبي طالب[(٧)]:

---

(١) هو: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الائمة في علوم العربية، أشهر كتبه: "الالفية" في النحو و"التسهيل"، وشرح العمدة، وشرح الكافية الشافية، توفي عام (٦٧٢)هـ. ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (٦٧/٨)، بغية الوعاة (١٣٠/١).

(٢) رواه أبو داوود، إفشاء السلام (٣٧٨/٥)، الترمذي: (التحفة) إفشاء السلام (٤٦٠/٧).

(٣) ينظر: التسهيل ص (٢٣١)، شرح الكافية الشافية (٢١٠/١).

(٤) قراءة شاذة: ليحيى الذماري كما في الشواذ: ص (١١٣).

(٥) قراءة شاذة، غير متواترة عن أبي عمرو، ينظر: شواذ القراءات ص (٣٦٨)، إعراب القراءات الشواذ (٢٦٣/٢).

(٦) لم اهتد إلى قائله. والشاهد فيه قوله: (تبيتي وتدلكي) بحذف النون، والقياس: (تبيتين وتدلكين)، فحذف النون للضرورة. ينظر البيت في: المحتسب (٢٢/٢)، واللسان (دلك).

(٧) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، وعم النبي ﷺ وكافله ومربيه ومناصره، ومناصره، وكان بطلاً خطيباً عاقلاً، له ديوان شعر، كاد أن يسلم، توفي قبل الهجرة بثلاث. ينظر: الإصابة، (١١٥/٤)، سير أعلام النبلاء (١٦٦/٤).

فإن يك قوم سرهم ما صنعتم   ستحتلبوها لاحقــاً غير باهِلِ[(١)]

أراد فستحتلبونها، فحذف الفاء في جواب الشرط ضرورة، وحذف النون شذوذاً، لا يقال: إن النون حذفت جواباً للشرط؛ لأن هذه الجملة لا تصلح أن تكون جواباً بنفسها؛ لاقترانها بحرف التنفيس، فلا بد من الفاء، ومتى وجدت الفاء يعزّ ثبوت النون. ولا يلتفت لقراءة من قرأ: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ﴾ المائدة: ٩٥، بكسر الميم[(٢)]؛ لشذوذها. والباء في ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ للحالية، أي: لم تلبسونه ملتبساً بالباطل ومخلوطاً به. ولذلك قال الزمخشري: أي: تلبسون الحق مع الباطل[(٣)]. وقوله: ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ ظاهر الآية أن هذه الجملة مستفهم عنها أيضاً على جهة التوبيخ، أي: لِمَ تلبسون؟ ولِمَ تكتمون؟[(٤)] وفي كلام الفارسي أنها مستأنفة غير معطوفة على ما قبلها مما هو داخل في حيّز التوبيخ، [فإنه قال في تجويز الفراء[(٥)] والزجاج[(٦)] النصب في «وتكتموا» كما سيأتي: الاستفهام وقع على اللبس فحسب،

---

(١) البيت لأبي طالب من قصيدته اللامية التي يستعطف بها قريش، والشاهد فيه "ستحتلبوها" يريد: ستحتلبونها. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/١١٤)، والبداية والنهاية (٣/٥٦)، شرح الكافية الشافية (١/٢١١) ولفظه فيهما:

((فإن نك قوم نثِّئر ما صنعتم   وتحتلبوها لقحة غير باهل)).

ومعنى لاقحاً، أو لِقْحَةً: هي الناقة ذات اللبن، وغير باهل: التي لا صِرار على ضروعها يمنع حلبها، فهي مباحة الحَلْب. ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية (٣/١٠١)، لسان العرب (٢/٨٣) مادة: (لقح)، (١١/٧١) مادة: (بهل).

(٢) قراءة شاذة: م أقف عليها، بعد البحث.

(٣) الكشاف (١/٣٩٩).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٧٦).

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٢١).

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/٢٨٩)، قال: قيل: "وتكتموا الحق" لجاز؛ على قولك: لم تجمعون هذا وذاك، ولكن الذي في القرآن أجود في الإعراب، وممن أجازه أيضاً النحاس في إعراب القرآن (١/١٦٤).

وأما يكتمون فخبر حتم لا يجوز فيه إلا الرفع، يريد أنه مرفوع على الاستئناف، خبّر عنهم أنهم يكتمون الحق مع علمهم بذلك، وليس معطوفاً على ما قبله من قوله: ﴿تَلْبِسُونَ﴾ [(١) (٢)]. وينقل ابن عطية عنه المعنى الأول [أنه معطوف على الفعل قبله](٣) كما هو الظاهر، فإنه قال: وقال أبو علي: الظرف هاهنا يقبح، وكذلك إضمار «أن»؛ لأن ﴿وَتَكْتُمُونَ﴾ معطوف على موجب مقرر وليس بمستفهم عنه، وإنما استفهم عن السبب في اللبس، واللبس موجب، فليست الآية بمنزلة قولهم: «لا تأكل(٤) السمك وتشرب اللبن؟» وبمنزلة قولك: «أتقومُ فأقومَ؟» والعطف على المقرر الموجب قبيح متى نصب، إلا في ضرورة شعر، كما روي:

..... وألحــق بالحجاز فأستريحا(٥)

وقد قال سيبويه(٦): «في قولك: أسِرْتَ حتى تدخُلُها؟(٧) لا يجوز إلا النصب في «تدخل» لأن السير مستفهم عنه غير موجب، وإذا / قلنا: أيهم سار حتى [أ/٢٨] يدخلها؟ رفعت؛ لأن السير موجب والاستفهام إنما وقع عن غيره»(٨).

---

(١) الحجة (٢/٢٢٠).

(٢) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية وعرض الصحفة.

(٣) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف بين السطرين.

(٤) في المحرر الوجيز (٢/٢٥٢) بلفظ: "أتأكل السمك"، وهو الذي يناسب السياق.

(٥) البيت ينسب للمغيرة بن حبناء الحنظلي التميمي، وليس في ديوانه، وهو من شواهد لسيبويه، وصدره:

((سأترك منــزلي لبني تميم .....))

والشاهد فيه "ألحق" بالنصب. ينظر: الكتاب (٣/٣٩)، شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس ص (١٩٨)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص (٢٣٢).

(٦) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر: إمام النحاة. صنف (الكتاب) في النحو، وناظر الكسائي، توفي بفارس سنة (١٨٠)هـ. ينظر: بغية الوعاة (٢/٢٢٩)، إنباه الرواة (٢/٣٤٦).

(٧) ينظر: التراكيب والنماذج النحوية في كتاب سيبويه للدكتور: حسن هنداوي ص (١٤).

(٨) الكتاب (١/٤١٦)، وينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٢).

قال الشيخ: انتهى ما نقله ابن عطية عن أبي علي، وظاهره تعارض ما نقل مع ما قبله؛ لأن ما قبله فيه أن الاستفهام وقع على اللبس فحسب، وأما تكتمون فخبر حتم لا يجوز فيه إلا الرفع، وفيما نقله ابن عطية أن «تكتمون» معطوف على موجب مقدر وليس بمستفهم عنه، فيدل العطف على اشتراكهما في الاستفهام عن سبب اللبس وسبب الكتم الموجبين، وفرق بين هذا المعنى وبين أن يكون ﴿وَتَكْتُمُونَ﴾ إخباراً محضاً لم يشترك مع اللبس في السؤال عن السبب[(١)]. وهذا الذي ذهب إليه أبو علي من أن الاستفهام إذا تضمن وقوع الفعل لا ينتصب الفعل بإضمار «أن» في جوابه؛ تبعه في ذلك ابن مالك، فقال في «**التسهيل**» حيث عدّ ما تضمر أن وجوباً في الجواب فقال: أو لاستفهام لا يتضمن وقوع الفعل، فإن تضمن وقوع الفعل لم يجز النصب عنده، نحو: لِمَ ضربتَ زيداً، فيجازيك؟ لأن الضرب قد وقع[(٢)]. ولم نَرَ أحداً من أصحابنا يشترط هذا الشرط الذي ذكره أبو علي؛ وتبعه فيه ابن مالك في الاستفهام، بل إذا تعذر سَبْكُ مصدر مما قبله، إما لكونه ليس ثَمَّ فعل ولا ما في معناه ينسبك منه، وإما لاستحالة سبك مصدر مراد استقباله لأجل مضي الفعل، فإنما يقدر فيه مصدر مقدر استقباله مما يدل عليه المعنى، فإذا قال: «لم ضربت زيداً فأضربُك؟» أي: ليكن منك تعريف: بضرب زيد فضربٌ منا. انتهى[(٣)].

والحاصل: أن أبا علي نظر إلى المعنى، فلما رأى المعنى على تقدير أنها للفعل والشأن لم يُجز في جوابه النصب، وغيره من النحويين نظر إلى صورة الاستفهام.

وأما ما قاله من قول الشاعر: «وألحق بالحجاز»؛ فألحق موجب لفظاً ومعنًى، على أن النحويين تأولوا البيت بالنفي. فإن أوله:

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٥١٦/٢). المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري (١٤١/١).

(٢) التسهيل ص (٢٣١).

(٣) البحر المحيط (٥١٦/٢)، وينظر: مواقف أبي حيان من متقدمي النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط جمعاً ودراسة، رسالة علمية للباحث: علي بن محمد الزهراني ص (٩٠٧/٣). وخلاصة ما ذكره الباحث: أن الأقرب توجيه الفراء والزجاج، وأنه اختيار ابن مالك وابن عقيل.

سأترك منـــزلي لبني تميمٍ وألحق بالحجاز فأستريحا(١)

قالوا: تقديره: لا أصاحب بني تميم ولا أساكنهم، فلذلك نصب الفعل في جواب سأترك، لأنه في قوة «لا أساكن» كما قدمناه. ثم قال الشيخ: «والظاهر أنه أنكر عليهم لبس الحق بالباطل وكتم الحق، وكأن الحق / منقسم إلى قسمين: [٢٨/ب]

- قسم خلطوا فيه الباطل حتى لا يتميز.
- وقسم كتموه بالكلية حتى لا يظهر»(٢).

وهذا الذي ذكره الشيخ وقال: «إنه الظاهر» هو الذي بدأنا به، وظهر لي في بادي الرأي قبل أن أطلع على قول الشيخ. والجملة من قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران، حالية كنظيرتها من قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أي: لم تفعلون هذين الفعلين الفظيعين وحالكم ذلك، وهذه الحال تنافي تعاطيكم هذين الفعلين، [أي: لا يناسب من علم الحق أن يخلطه بباطل، ولا يكتمه، والسؤال عن سبب الشيء سؤال عنه، فإذا أنكر السبب فأحرى إنكار مسببه](٣). وحذف مفعول العلم كما حذف مفعول الشهادة للعلم به، فقيل: تقديره: أنه نبيٌّ حَقٍّ، وما جاء به حق(٤). وقيل: تقديره: وأنتم تعلمون الحق بما ظهر لكم في كتبكم، وعلى ألسنة أنبيائكم(٥).

---

(١) سبق تخريج البيت ص (١٦٠).

(٢) البحر المحيط (٥١٦/٢). قال الراغب في تفسيره (٦٣١/١): وأما كتمانهم الحق فما كتموه من صفات النبي -ﷺ- التي دل عليها إشارات التوراة والإنجيل. وينظر: جامع البيان (٤٩٥/٥)، النكت والعيون (٤٠١/١).

(٣) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف بالحاشية وعليه علامة صح.

(٤) ينظر: جامع البيان (٤٩٥/٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٦٧٧/٢)، تفسير القرآن للسمرقندي (٢٤٧/١)، الكشف والبيان (٩١/٣)، مدارك التنـــزيل (١٦٠/١).

(٥) ينظر: جامع البيان (٤٩٥/٥)، تفسير ابن المنذر (٢٥٠/١)، النكت والعيون (٤٠١/١)، تفسير العز بن عبد السلام (٢٦٨/١).

ويجوز أن يكون المعنى: وأنتم من أهل العلم[(١)].

وقيل: قال ذلك ليبين لهم الأمر الذي يصح به التكليف[(٢)].

فإن قيل: لِمَ ختمت الأولى بكونهم يشهدون، وهذه بكونهم يعلمون؟

فالجواب: أنه فعل ذلك للمناسبة، وبيان ذلك؛ أنه أنكر عليهم هنا لبس الحق بالباطل، وهناك أنكر عليهم الكفر بآيات الله، والحق أعم من الآيات، لأن الآيات بعض الحق، والشهادة أخص من العلم، لأن الشهادة بعضه، إذ كل شهادة علم ولا عكس، كما أن كل آية من آيات الله حق من غير عكس[(٣)].

فإذا تقرر هذا؛ فنقول: أعطى الأعم وهو الحق للأعم وهو العلم كما أعطى الأخص وهو الآيات للأخص وهو الشهادة تماماً للمناسبة المقصودة.

- قوله: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ آل عمران: ٧٢.

اختلف المفسرون في هذه الطائفة:-

فعن مجاهد[(٤)]، ومقاتل، والكلبي: «هو كعب بن الأشرف[(٥)] وأصحابه»، والآية والآية في شأن القبلة حين حوّلت وصلى النبي ﷺ والمؤمنون إلى الكعبة، قال كعب

---

(١) ذكره الراغب في تفسيره (٦٣٤/١) بلفظ: وأنتم تعرفون الحق الذي تكتمونه؛ والتلبيس الذي تأتونه. وينظر: التفسير الكبير (١٠٢/٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥١٦/٢).

(٣) تفسير الراغب (٦٣٤/١).

(٤) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، شيخ القراء والمفسرين، أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس، ت (١٠٢)هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩/٦)، سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤).

(٥) كعب بن الأشرف اليهودي، شاعر من شعراء اليهود، كان يهجو النبي ﷺ والمؤمنين ويشبب بنساء المسلمين، قتل بعد غزوة بدر. ينظر: سيرة ابن هشام (٥٥/٢)، طبقات فحول الشعراء (٢٨٢/١).

ورهطه: «صلوا إلى قبلتهم أول النهار ثم اتركوها وصلوا إلى بيت المقدس آخره»[(١)]. كأنهم قصدوا بذلك خديعة المسلمين ليروا أنهم ما رجعوا عن متابعته -عليه السلام- إلا لأمرٍ ظهر لهم[(٢)]. وعن ابن عباس[(٣)]، ومجاهد[(٤)] أيضاً: «صلت اليهود مع النبي ﷺ صلاة الصبح، ثم رجعوا آخر النهار فصلوا صلاتهم؛ ليوهموا الناس أنهم / إنما رجعوا [٢٩/أ] عن ذلك لحق ظهر لهم بعده»[(٥)]. ونقل الزمخشري وغيره أن سببها: «أن اثني عشر حبراً من أحبار يهود خيبر[(٦)] زاد غيره: وعُرينة[(٧)] تواطؤوا وقال بعضهم لبعض:

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٤٩٥/٥)، وذكره الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٨٩/١) دون نسبة، وابن المنذر في تفسيره عن الكلبي (٢٥١/١)، ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان (٩١/٣) لمجاهد ومقاتل والكلبي، والواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩) عن الحسن والسدي بدون إسناد، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥٣/٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٩٣/١) ونسبه لابن عباس، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢)، البحر المحيط (٤٩٣/٢).

(٢) ينظر: زاد المسير (٢٩٣/١)، المحرر الوجيز (٢٥٣/٢).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٤٩٧/٥) من طريق العوفي بلفظ: أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد ﷺ أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخر النهار فصلوا صلاتكم...، وابن المنذر في تفسيره (٢٥١/١)، ونحوه عند ابن أبي حاتم (٣٣٩/٢) من نفس الطريق، وضعف إسناده ا.د حكمت بشير.

(٤) رواه الطبري في جامع البيان (٤٩٧/٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢٥١/١). وينظر: تفسير مجاهد (١٢٨/١) بلفظ مقارب.

(٥) ذكره الرازي في معاني القرآن وإعرابه (٢٩٠/١) دون نسبة، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥٣/٢)، ونسبه الرازي في التفسير الكبير (١٠٤/٨) لابن عباس.

(٦) خيبر: حصون ومزارع لليهود فتحها النبي -ﷺ- سنة سبع وقيل: سنة ثمان، اشتهرت بالتمور، تبعد عن المدينة (١٦٥) كيلاً شمالاً على طريق الشام. ينظر: معجم البلدان(٤٠٩/٢)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية للبلادي ص (١١٨).

(٧) هي قرى بالحجاز نحو خيبر، وتيماء. ينظر: معجم البلدان (١١٥/٤)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص (٢٣٥).

ادخلوا في دين محمد أول النهار من غير اعتقادٍ واكفروا به آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا؛ فوجدنا محمداً ليس بذلك المنعوتُ، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم» انتهى[(١)]. وهو منقول عن الحسن، والسُّدّي[(٢)]. وعن الحسن أيضاً: «أن يهود خيبر قالت ليهود المدينة هذه المقالة الشنعاء»[(٣)].

وعن السدي أيضاً: «أن علماء اليهود ورؤساءَهم قالوا لسفلتهم ذلك»[(٤)]، **وقالوا**: فإذا سئلتم: لِمَ رجعتم؟ فقولوا: اتبعنـــاه على أنه على الحق، فسألنا علماءنا -لأنهم أهل الكتاب القديم- فأخبرونا أنه ليس به، وأنا لسنا على شيء؛ فرجعنا! والمقول له مقدر، فيجوز أن يكون بعض تلك الطائفة القليلة، وأن لا يكون، كما تقدم[(٥)]. و﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ صفة لطائفة. ومعنى ﴿ءَامِنُواْ﴾ أي: أظهروا الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم[(٦)]. وقولهم: ﴿بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ﴾ على سبيل التنزّل، أي: على زعم

---

(١) ينظر: الكشاف (٤٠٠/١)، المحرر الوجيز (١٦٦/٣)، زاد المسير (٢٩٣/١) ونسبها للحسن والسدي. وقال: وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور.

(٢) ذكره عن الحسن والسدي الثعلبي في الكشف والبيان (٩١/٣)، والواحدي في أسباب النزول ص (١٠٩)، ورواية السدي رواها الطبري في جامع البيان من طريق ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس (٤٩٦/٥)، وابن أبي حاتم (٣٣٧/٢) مختصرة، وليس فيهما ذكر خيبر. وينظر: الكشاف (٤٠٠/١)، المحرر الوجيز (١٦٦/٣)، زاد المسير (٢٩٣/١).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٤٠١/١)، وابن عطية (١٢٢/٣) ونسبه للحسن. وينظر: تفسير الراغب (٦٣٦/١)، التفسير الكبير (٨٣/٨)، البحر المحيط (٥١٧/٢). وإسناده حسن.

(٤) ذكره الطبري في جامع البيان (٤٩٦/٥) بسنده عن أبي مالك، والراغب في تفسيره (٦٣٦/١) ونسبه للسدي، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٤٠١/١) ونسبه للسدي وابن زيد، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٥٣/١) ونسبه لقتادة والسدي والربيع وأبي مالك، وينظر نحوه عن مقاتل في: تفسير القرآن للسمرقندي (٢٤٨/١)، والجامع لأحكام القرآن (١٦٩/٥).

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (٣٣١/١).

(٦) ينظر: جامع البيان (٤٩٨/٥)، تفسير الراغب (٦٣٧/١)، البحر المحيط (٥١٧/٢).

المؤمنين، وإلا فهم منكرون إنزال ذلك[(١)]. وقولهم: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: على اعتقادهم أيضاً، وإلا فهم عندهم كفار. ويجوز أن يكونوا قالوه حقيقة؛ لأنهم يعرفون أنهم مؤمنون حقاً، وإنما كذبوهم عناداً.

و﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوله، شبه بوجه الإنسان فاستعير له[(٢)]؛ لأن أول ما يبدو من الإنسان عالياً وجهه[(٣)].

وقال الربيع بن زياد العبسي[(٤)] يرثي مالك بن زهير[(٥)]:

من كان مَسْرُوراً بمقتل مـــالك ... فليأت نسوتَنا بوَجْـــهِ نهارِ

يجد النساء حواسِـــراً يندبـــنه ... قد قمن قبل تبلّج الأسحار[(٦)]

---

(١) ينظر: تفسير الراغب (٦٣٦/١)، ومذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل من عنده على نبيه غير مخلوق.

(٢) ينظر معاني "وجه" في المفردات ص (٥٢٩)، المحرر الوجيز (٢٥٤/٢)، زاد المسير (٢٩٣/١) ونسبه لمجاهد وقتادة والزجاج في آخرين.

(٣) ذكر هذا المعنى الطبري في جامع البيان (٤٩٨/٥)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٨٩/١) وابن المنذر في تفسيره (٢٥٢/١)، وذكره الراغب في تفسيره (٦٣٥/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥٤/٢)، والرازي في التفسير الكبير (١٠٥/٨)، وينظر: العين (٦٦/٤)، مجاز القرآن (٩٦/١)، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص (١٠٦)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٦/٢). وينظر: لمعاني الوجه في: المفردات ص (٨٥٥)، المحرر الوجيز (٤٣/٣).

(٤) هو: الربيع بن زياد بن العبسي، شاعرٌ فارسٌ من سادات بني عبس، أحد دهاة العرب، شهد داحس والغبراء. ينظر: أسد الغابة (٦٠٥/١)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤٣٠/٢).

(٥) مالك بن زهير بن جذيمة العبسي، أخو قيس مالك بن حذيفة، جاهلي، لم أقف له على ترجمة له، وأشعاره وبعض أخباره مذكورة في أنساب الأشراف للبلاذري (١٥٩/١٣).

(٦) البيتان للربيع بن زياد العبسي، من أبيات قالها حين قتل حميمه مالك بن زهير، وحمي لقتله، لقتله، واستعد لطلب ثأره، وروايتهما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص (٧٠٣). ينظر: ديوان الحماسة (٤٩٤/١)، واللسان: (وجه)، ومجاز القرآن (٩٧/١). والبلجة: ضوء الصبح آخر الليل عند انصداع الفجر. اللسان ماة: (بلج).

[ ][1] لأنه بمعنى أول مقابلة بالآخر. والضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ للمؤمنين، وحذف مفعول الرجوع للعلم، أي: لعلهم يرجعون عن دينهم بسبب هذه الخديعة[2]. وفي انتصاب الظرفين -أعني وجه النهار وآخره- وفي الضمير في آخره وجهان:

أحدهما: أن الناصب لهما ﴿ءَامِنُوا۟﴾ و﴿وَٱكْفُرُوٓا۟﴾، والضمير للنهار، والتقدير: أوقعوا الإيمان أول النهار، وأوقعوا الكفر آخر النهار، وهذا ظاهر لا غبار عليه.

/ **والثاني**: أن الناصب لوجه النهار ﴿أُنزِلَ﴾ والضمير في ﴿ءَاخِرَهُۥ﴾ يعود على الذي أُنزل[3]، كأنه قيل: آمنوا بالمنـــزَل أول النهار واكفروا آخر المنـــزَل، وهذا ليس بظاهر، ومخالفٌ ما قدمناه من أسباب النزول المتقدمة. والبيت الذي أنشدناه للربيع وما بعده يحتاج إلى تفسير لا يُعرف إلا بالتوقيف، وذلك أنه كان من عادة العرب إذا قتل لها قتيل لا يُندب ولا تقوم نوائحه حتى يؤخذ بثأره، فقال هذا الشاعر: من سُرَّ بمقتل مالك فلا يسر؛ لأنه أخذ بثأره؛ لأنه قد أقيمت نوائحه، فجعل ذلك نهاية الكناية عن الأخذ بثأره، فهو من إقامة اللازم مقام الملزوم، وبعد البيتين:- [٢٩/ب]

قد كنَّ يخبأن الوجوه تستراً فاليوم حين بدون للنظَّارِ[4]

يريد أن النساء قد أسفرنَ حين قمن يَنْدُبنه لعظم قدره عندهن. وفي البيت حكاية طريفة، وهي: أن الشيباني[5] سأل الأصمعي[6] عن قوله: «حين بدون» فقال:

---

(١) كلمة غير مقروءة في المخطوط. ولعلها "هذا" أي: هذا لأنه.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧٧/٢)، وفيه معنى آخر عن ابن عباس وغيره وهو: لعلهم يرجعون إلى قبلتكم.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٢٥٤/٢).

(٤) تقدم تخريجه مع البيتين السابقين، وينظر: الدر المصون (١٣٤/٢).

(٥) هو: إسحاق بن مرار الشيباني بالولاء، أبو عمرو الكوفي النحوي اللغوي، أصله من الموالي. الموالي. جاور بني شيبان وأدب بعض أولادهم فنسب إليهم. توفي سنة (٢١٠)هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٦٥/١)، وميزان الاعتدال (٣٧٣/٣).

(٦) هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصبح الباهلي الأصمعي،راوية العرب له تصانيف منها: الأجناس في أصول اللغة، والمذكر والمؤنث، توفي سنة (٢١٦)هـ. ينظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص (٤٦)، الأعلام للزركلي (١٦٢/٤).

فقال: «هل هو: بدين، أو بدأن؟ يعني بالياء أو الهمزة؟» فقال الأصمعي: «بدين» فقال: «أخطأت»، فقال: «بدأن»، فقال: «أخطأت، إنما هو بَدَوْنَ، من بَدَا يبدو، أي: ظهر». فوقف الأصمعي عليه ذات يوم فقال: «كيف تصغر مختار؟» فقال الشيباني: «مخيتير»، فضحك منه، فقال: «كيف أقول؟!» وصواب جوابه أن يقول: مخيِّر -بحذف التاء والياء- مُشددة؛ لأنك حذفت التاء وأبقيت الميم، ثم قلبت الألف إلى أصلها وهو الياء، وأدغمت ياء التصغير فيها، فوزنه الآن «مُفَيْعِل»[(١)].

● قوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ آل عمران: ٧٣ -٧٤.

اختلف الناس في هذه الجملة كثيراً، والظاهر أنها من كلام الطائفة المتقدمة[(٢)]، أمروهم بالإيمان أول النهار، والكفر آخره، ثم نهوهم أن يؤمنوا بهذا لأحد من الناس -أي يظهروه له- إلا لمن كان على دينهم[(٣)].

---

(١) وردت الحكاية في: اللباب في علوم الكتاب (٣١٧/٥)، الدر المصون (٨٢٩/١).

(٢) قال ابن عطية: "ولا خلاف بين أهل التأويل أن هذا القول من كلام الطائفة". المحرر الوجيز (٢٥٤/٢).

(٣) هذا أحد أقوال المفسرين في توجيه الآية، وهو أرجح الأقوال وأظهرها، فيكون قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ جملة اعتراضية من كلام الله تعالى، وباقي الكلام هو كلام اليهود. قال الطبري مرجحاً هذا القول: وإنما اخترنا ذلك من سائر الأقوال التي ذكرناها، لأنه أصحها معنى، وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب، وأشدها اتساقاً على نظم الكلام وسياقه، وما عدا ذلك من القول فانتزاع يبعد من الصحة على استكراه شديد للكلام.

وينظر تفصيل هذه الأقوال في جامع البيان (٥٠٠/٥) وما بعدها وقد رجحه، وينظر: معاني القرآن للفراء (٢٢٢/١)، مجاز القرآن (٩٧/١)، معاني القرآن وإعرابه (٢٩٠/١)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٥/١)، زاد المسير (٤٠٦/١)، التفسير الكبير (١٠٦/٨)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٧/٢).

والثاني: أنها من كلام الله تعالى، قال ذلك تثبيتاً للمؤمنين لئلا يشكّوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم وخِدَاعِهم / في دينهم[(١)]. وعلى الأول ينقطع الكلام عند [أ/٣٠] قوله: ﴿دِينَكُمْ﴾، وما بعده [من قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾ آل عمران: ٧٣][(٢)]، من كلام الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ آل عمران: ٧٣، لأن هذا من كلام الله تعالى لا محالة، فكذلك ما بعده[(٣)].

[التقدير: قل يا محمد لأولئك القائلين من اليهود: إن الهدى هدى الله، فما رمتموه من التشكيك والتلبيس بقولكم: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ إلى آخره، وذلك الفعل مخافة أن يؤتى أحد، فيكون ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ مفعولاً لأجله[(٤)]][(٥)]. وإذ عرفتَ أن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ خلافاً؛ هل هو من كلام الطائفة أو من كلام الله تعالى، تبين لك أن قول ابن عطية: لا خلاف بين أهل التأويل أن هذا القول هو من كلام الطائفة[(٦)]؛ ليس كذلك؛ لثبوت الخلاف المشار إليه.

وفي قوله: ﴿لِمَن﴾ وجهان:-

أحدهما: أن اللام في ﴿لِمَن﴾ مزيدة[(٧)]، والأصل: ولا تؤمنوا إلا من تبع، أي: أي:

---

(١) ينظر المراجع السابقة.

(٢) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف خارج السطر للأعلى وعليه علامة الصحة.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٤٧٨/٢).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٢٢/١)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٥/١).

(٥) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية في عرض الصفحة.

(٦) المحرر الوجيز (١٢٤/٣).

(٧) هذا قول مجاهد، واختاره الأخفش(٤١١/١)، والطبري في جامع البيان (٣١٣/٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٥٤/٢)، وينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٢١/١)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٥/١)، زاد المسير (٤٠٦/١) ونسبه لمجاهد والأخفش، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٨/٢)، البحر المحيط (٥١٨/٢). وعلى هذا القول يكون الكلام كله من كلام اليهود بعضهم لبعض، على اعتقاد منهم أن النبوة لا تكون إلا في بني إسرائيل.

لا تصدقوا غير أهل دينكم، وجعلوا ذلك نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ النمل: ٧٢، أي: ردفكم[(١)].

وقول الآخر:

فلمـــا أن تواقفنـــا قليـــلاً أنخنـــا للكلاكـــل فارتمينـــا[(٢)]

يريد: أنخنا الكلاكل.

وقول الآخر:

ما كنت أخدع للخليل بخلة حتى يكون لي الخليل خَدُوعا[(٣)]

يريد: أخدع الخليل. وجعل بعضهم زيادة اللام باطرادٍ مشروطةً إما بكون العامل فرعاً، كقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البروج ١٦، وإما بتقديم المعمول كقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ يوسف ٤٣، فإن لم يكن أحد هذين فالزيادة ضرورة كقوله: أنخنا للكلاكل. فأما ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ فتُؤَوَّل على التضمين كما سيأتي إن شاء الله.

والثاني: أنها ليست بزائدة[(٤)]، لأن آمن ضُمّن معنى أقر واعترف، أي: ولا تقرّوا ولا تعترفوا إلا لمن تبع، وجعل الشيخ هذا هو الأجود[(٥)]، وهو ظاهر

---

(١) معنى ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ دنا لكم وتبعكم، قاله السمعاني (١١١/٤)، وأما الاستشهاد بأن اللام للتوكيد فهو قول جماعة من المفسرين. ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٢٢/١)، جامع البيان (٥٠٠/٥)، زاد المسير (٢٩٤/١).

(٢) البيت لعبد الشارق بن عبد العزى، وقيل لسلمة بن الحجاج. ينظر: رصف المباني ص (١١٦)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (٤٤٧/١). والكلاكل: جمع كلكال وهو: الصدر من كل شيء؛ وقيل ما بين الترقوتين. ينظر: لسان العرب ماة: (ك ل ل)

(٣) لم أهتد لقائله، وهو في البحر المحيط (٥١٨/٢)، زاد المسير (٢٩٤/١)، الدر المصون (٢٥٠/٣).

(٤) ينظر: جامع البيان (٣٤١/٣)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٨/٢)، زاد المسير (٢٩٤/١).

(٥) البحر المحيط (٥١٨/٢)، وينظر: ترجيحات أبي حيان في التفسير ص (١٨١).

قول الفارسي[(١)]: وقد تعدى «آمن» باللام، ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن﴾ يونس: ٨٣، ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ طه: ٧١، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة: ٦١. وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى أول البقرة[(٢)]، ولله الحمد. وهذا استثناء مفرغ؛ لأن ما بعد «إلا» مفتقر لما قبلها معمولاً له.

وقال أبو البقاء: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ﴾ فيه وجهان:-

أحدهما: أنه استثناء مما قبله. والتقدير: ولا تقروا إلا لمن تبع، فعلى هذا اللام غير زائدة. ويجوز أن تكون زائدة، ويكون محمولاً على المعنى / أي: اجحدوا كل أحد إلا مَنْ تبع. [٣٠/ب]

والثاني: أن النية به التأخير، والتقدير: ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم، فاللام على هذا زائدة، و«من» في محل نصب على الاستثناء من أحد[(٣)].

وقال أبو علي: الإيمان لا يتعدى إلى مفعولين، فلا يتعلق أيضاً بجارَّيْن، وقد تعلق بالجار المحذوف في قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ فلا يتعلق باللام في قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، إلا أن يحمل الإيمان على معناه فيُعدى إلى مفعولين، ويكون المعنى: وَلا تَقِرُّوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم، كما تقول: أقررت لزيد بألف، فتكون اللام متعلقة بالمعنى، ولا تكون زائدة، على حدِّ ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ النمل:٧٢، و ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ يوسف:٤٣[(٤)]. **قلتُ**: قوله: «على حد قوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾»، أي: في كونها مزيدةً، ولا يجوز أن يريد التشبيه بها في التضمين، وإن كان

---

(١) الحجة (٢/٢٢٢).

(٢) أول سورة البقرة موضع سقط في المخطوط.

(٣) الإملاء (١/١٣٩). والقول بأن اللام زائدة هو قول الطبري في جامع البيان (٥/٥٠٠)، وينظر: مجاز القرآن (١/٩٧)، تفسير الراغب (١/٦٤٠)، مشكل إعراب القرآن (١/١٦٢)، تفسير السمعاني (١/٣٣٢)، معالم التنزيل (٢/٥٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٧٨).

(٤) الحجة (٢/٢٢٢). وينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٥).

ذلك قد قيل في ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾؛ لأجل قوله بعد ذلك ﴿ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ يوسف:٤٣، فإنها مزيدة فيها فقط. وفي قوله: «فلا يتعلق أيضاً بجارين» صواب الإعراب فيه أن يقال: فلا يتعلق به جاران، وكأنه أراد التعلق المعنوي، وقد صرّح بما قدمته من تضمين الإيمان معنى الإقرار. ثم اعلم أن مدار معرفة معنى هذه الآية مبني على معرفة إعرابها ونظم ألفاظها، فلا بد من تقرير ذلك أولاً، وقد اضطرب كلام الناس فيها كثيراً[(١)]، وأنا ألخّصه إن شاء الله وبه العَوْنُ؛ فأقولُ: في هذه الآية الكريمة وجوه[(٢)]:

أحدُها: أن قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ ﴾ معمول لقوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ على حذف حرف الجر، والأصل: ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم، فلزما حذف حرف الجر جرى الخلاف المعروف بين الخليل[(٣)] وسيبويه هل «أن» في محل نصب أم جر؟[(٤)] وتكون الجملة من قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ معترضة بين العامل ومعموله[(٥)]. قال الزمخشري في تقرير هذا الوجه: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ متعلق بقوله:

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٥)، وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٧٧) عن هذه الآية: "وهذه الآية أشكل ما في السورة"، وذكر المصنف في آخر تفسير هذه الآية عن الواحدي قوله: «وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيراً». وقال الرازي في التفسير الكبير (٨/١٠٦): «واعلم أن هذه الآية من المشكلات الصعبة».

(٢) ينظر تفصيل الأقوال في جامع البيان (٥/٥٠٠)، وزاد المسير (١/٤٠٦)، والبحر المحيط (٢/٥١٨)، الدر المصون (٣/٢٥٢)، وقد أحال السمين على الد المصون في العقد النضيد ص (٧٣٥) تحقيق: أيمن سويد بقوله: في هذا المكان أبحاث حسنة محررة في الدر المصون فلتطلب هناك.

(٣) هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الأزدي من أئمة اللغة والأدب والشعر، وشيخ سيبويه واضع علم العروض، من مصنفاته: كتاب العين في اللغة، توفي سنة (١٧٠)هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٢/٢٤٤)، سير أعلام النبلاء (٧/٩٧).

(٤) قال الخليل: محلها الجر، وقال سيبويه: محلها النصب. ينظر: الكتاب (١/١٧).

(٥) رجح الطبري هذا القول في جامع البيان (٦/٥١٥)، وذهب إلى ذلك الواحدي في الوسيط (١/٤٥٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٥٤)، وأبو حيان في تفسيره (٢/٥١٨)، وابن كثير في تفسيره (١/٣٥٣)، وينظر: لهذا الوجه في: معاني القرآن للفراء (١/٢٢٢)، ومعاني
==

﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾، وما بينهما اعتراض، أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل / دينكم دون غيرهم، أرادوا: أسرّوا تصديقكم [٣١/أ] بأن المسلمين قد أوتوا مثل ما أوتيتم، ولا تفشوه إلا لأشياعكم وحدهم؛ دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام. ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ عطف على ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾، والضمير في ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ لأحَدٍ؛ لأنه في معنى الجميع، بمعنى: ولا تؤمنوا لغير أتباعكم، فإن المسلمين يحاجونكم عند ربكم بالحق، ويغالبونكم عند الله بالحجة(١).

فإن قلتَ: ما معنى الاعتراض؟ قلتُ: معناه أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يُسلم(٢) أو يزيد ثباتاً كان ذلك، ولم ينفع كيدُكم وحِيَلُكُم وَزِيِّكُم(٣) تصديقكم عن المسلمين والكافرين، وكذلك قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ آل عمران: ٧٣، يريد الهداية والتوفيق(٤). انتهى(٥). قوله: « ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾

==

القرآن وإعرابه (٢٩٠/١)، وإعراب القرآن للنحاس (٣٨٦/١)، مشكل إعراب القرآن (١٦٢/١).

(١) كلمة «الحجة» ألحقها المؤلف بين السطرين.

(٢) فسر اللطف عند المعتزلة بخلق شيء يقترن بإسلام من يسلم، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة من أن الله عز وجل هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان بما يتزله على عبده محمد -ﷺ- من الآيات البينات، والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات. ينظر: تفسير ابن كثير (٨٨/٣)، والتمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال ص (٢٥).

(٣) الزي: الهيئة. ينظر: المفردات (زين) ص (٢٢٢).

(٤) فسرت الهداية والتوفيق بأنها البيان والإرشاد -كما يفسرها المعتزلة- وهذا يلزم منه أن يكون الكافرون من أهل الهداية والتوفيق، وهذا باطل بالإجماع. لأن الفضل والأمر كله لله وتحت تصرفه، وهو المعطي المانع، يمن على من يشاء بالإيمان والعلم، ويضل من يشاء فيعمي بصره وبصيرته، وله الحكمة البالغة والحجة التامة. ينظر: تفسير ابن كثير (٨٩/٣)، والتمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال ص (٢٦).

(٥) الكشاف (٤٠١/١)، وينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٥/١).

متعلق بقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ﴾»؛ مأخوذ من كلام الفارسي، وقد تقدم أن صوابه من حيث الإعراب أن يقول: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ وأن العذر له في ذلك أنه أراد التعلق المعنوي لا الصّناعي[(١)]. وقوله: «من شاء أن يلطف به» إلى آخره، يريد به أن العبد مستقل بفعل نفسه وله قدرة عليه، إن شاء آمن وإن شاء كفر، وأن ذلك موكول إليه مستقل به، وقد تقدم ذلك غير مرة، وعبارته وإن كانت صحيحة في الظاهر؛ غير أنه يقصد بها ما ذكرتُه لك. وعلى هذا الذي قرره الزمخشري تكون هذه الجملة من كلام الطائفة المتقدمة، والتقدير: وقالت تلك الطائفة أيضاً: ولا تؤمنوا، ويكون قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ من كلام الباري تعالى لا غير، مُعترضاً بها لما ذُكر، ويكون قوله: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ﴾ مستثنى من شيء مقدر دل عليه السياق، والتقدير ولا تؤمنوا -بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم- لأحد إلا لأشياعكم دون غيرهم.

وقوله: «وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾» يريد أن معناه كمعنى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ في مشيئة الهداية واللطف، لا أنه معترض كما أن ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ معترض، إذ لا اعتراض به بين شيئين، وإنما قصد التشبيه فيما ذكرته لك، فتأمله، وإن كان ظاهره يوهم ذلك[(٢)]. / [٣١/ب]

الوجه الثاني: أن قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ﴾ مستثنى من ﴿أَحَدٌ﴾ المتأخر المرفوع بيؤتى، واللام مزيدة فيه، والتقدير: ولا تؤمنوا - أي: ولا تصدقوا - أن يُؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم، فمن تبع محله النصب على الاستثناء من أحدٍ[(٣)]، وعلى هذا الوجه جوّز أبو البقاء في ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ أحد **ثلاثة أوجه**:-

الأول والثاني: النصب والجر، على الخلاف بين سيبويه وشيخه.

---

(١) ينظر: الحجة (٢/٢٢٢).

(٢) ينظر: الوسيط (١/٤٥٠)، التفسير الكبير (٨/١٠٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٧٧).

(٣) هذا قول الفراء في معاني القرآن (١/٢٢٣)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/٤٣٠)، وحُكي هذا القول عن بعض النحويين. ينظر: التسهيل ص (٢٣٤)، مغني اللبيب (١/٣٦).

الثالث: النصب على المفعول من أجله، تقديره: مخافة أن يؤتى. وهذا الوجه الثاني لا يصح من حيث المعنى، ولا من حيث الصناعة، أما المعنى فظاهر، وأما الصناعة؛ فلأن فيه تقديم ما في صلة أن عليها، وفيه أيضاً تقديم المستثنى على المستثنى منه، وعلى عامله، وذلك ممتنع أو ضعيف جداً[(١)].

الوجه الثالث: أن يكون ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ منصوباً بفعل مقدر يدل عليه ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ كأنه قيل: قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى أحد، فقوله: «فلا تنكروا» ناصب لأنْ وما في حيزها؛ لأن قوله: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ إنكارٌ لأنْ يؤتى أحد مثل ما أوتوا[(٢)]. وهذا الوجه ذكره الزمخشري آخر الأوجه التي في كتابه[(٣)]، واستبعده الشيخ؛ قال: لأن فيه حذف حرف النهي ومعموله، ولم يحفظ ذلك من لسانهم[(٤)]. **قلت**: ذا دليل على فعل جاز حذفه على أي حالة كان، من كونه منفياً أو مثبتاً أو نهياً عنه أو غير ذلك، وإنما الشيخ أراد التشنيع عليه بقوله: حذف حرف النهي ومعموله، يعني الفعل، ونحن لا نقول: المحذوف حرف النهي، بل المحذوف الفعل، واتفق أن ذلك الفعل منهي عنه.

الرابع: أن ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ متعلق بفعلٍ محذوف على أنه مجرور بلام العلة، والتقدير: لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبّرتموه لا لأمر آخر[(٥)]. قال الزمخشري في تقريره بعد ذكر الوجه الأول[(٦)]: أو تم الكلام عند قوله: ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ على معنى: ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر -وهو إيمانهم وجه النهار- ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ إلا لمن كان تابعاً لدينكم ممن أسلموا منكم؛ لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع سواهم، ولأن إسلامهم كان أغيظ لهم، وقوله:

---

(١) ينظر: الإملاء (١/١٣٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) الكشاف (١/٤٠١).

(٤) البحر المحيط (٢/٥١٩).

(٥) ينظر: تفسير الراغب (١/٦٤٦)، المحرر الوجيز (٣/١٢٥)، الدر المصون (٣/٢٥٢)، العقد النضيد ص (٧٣٥) تحقيق: أيمن سويد.

(٦) الكشاف (١/٤٠١).

﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ معناه: لأن يؤتى أحد / مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه، يعني [٣٢/أ]
لا لشيء آخر، يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم. والدليل عليه قراءة ابن كثير: «**أَأَنْ يؤتى أحد**» بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ[(١)]، بمعنى: أَلأَنْ يؤتى أحد؟ فإن قلتَ: فما معنى قوله: ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ على هذا؟ قلتُ: معناه: دبرتم ما دبَّرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم[(٢)].

الخامس: أن قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ ﴾ في محل رفعٍ خبراً لـــ ﴿ إِنَّ ﴾ من قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ ﴾، ويكون ﴿ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ بدلاً من الهدى الذي هو اسم إنّ، والتقدير: قل إن هدى الله أن يؤتى أحد، أي: إن هدى إيتاء أحدٍ مثل إيتائكم، وتكون ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى حتى، أي: حتى يحاجوكم عند ربكم فيغلبوكم ويدحضوا حجتكم عند الله[(٣)]، فلا يكون ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ معطوفاً على أن يؤتى ولا داخلاً في حَيّز أنْ، ذكره الزمخشري أيضاً[(٤)]. يعني فيكون ﴿ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ منصوباً بأن المضمرة بعد ﴿ أَوْ ﴾ التي بمعنى حتى[(٥)]، كقول الشاعر:

وكنتُ إذا غمزتُ قناة قوم ... كسرتُ كعوبها أو تســـتقيما[(٦)]

أي: حتى تستقيم.

---

(١) قراءة متواترة: ينظر: السبعة ص (٢٠٧) التيسير ص (٧٤)، التذكرة (٢/٢٩٠)، الإقناع (٢/٦٢١)، تقريب النشر ص (١٠١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥/٥٠٢)، معاني القرآن وإعرابه (١/٢٢٢)، الكشاف (١/٤٣٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٢٣)، إعراب القرآن للنحاس (١/١٦٥)، البحر المحيط (٢/٥١٨)، الدر المصون (٣/٢٥٩).

(٤) الكشاف (١/٤٠١).

(٥) ينظر: الحجة (٢/٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٧٩).

(٦) هذا بيتٌ من الوافر، وهو لزياد الأعجم. ينظر: الكتاب (٣/٤٨)، المقتضب (٢/٢٩)، شرح أبيات سيبويه للنحاس ص (٥٨٧). وغمزت: ليّنت. والقناة: الرّمح. والكعب: هو الناشز في أطراف الأنابيب. والشاهد فيه: (أو تستقيما) حيث نصب الفعل المضارع بـ (أن) المضمرة وجوبا بعد (أو) التي بمعنى (إلا)، أي: حتى أن تستقيما. ينظر: لسان العرب (٥/٣٨٩) مادة: (غمز)، (١٥/٢٠٣) مادة: (قنا)، (١/٧١٨) مادة: (كعب).

وقرئ: «**يقاتلونكم أو تسلموا**»[(١)] الفتح ١٦، أي حتى تسلموا، وقيل: معناها معنى إلا، أي: إلا أن تسلموا[(٢)]. ولما ذكر الشيخ ما هو قريب من لفظ الزمخشري قال: و﴿أَحَدٌ﴾ في هذين القولين ليس الذي يأتي في العموم مختصًّا به؛ لأن ذلك شرْطه أن يكون في نفي أو في حَيّز نفي، بل ﴿أَحَدٌ﴾ هنا بمعنى واحد، وهو مفردٌ، إذ عُني به الرسول ﷺ. وإنما جُمع الضمير في ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾[(٣)] لأنه عائد على الرسول وأتباعه، لأن الرسالة تدل على الاتباع[(٤)]. انتهى.

يعني بقوله: «الضمير في يحاجوكم» الضمير المرفوع، وهو الواو، لا ضمير الخطاب.

السادس: أن يكون ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ بدلاً من ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾، ويكون المعنى: قل إن الهدى هُدى الله، وهو أن يؤتى أحد كالذي [جاءنا][(٥)] نحن، ويكون قوله: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ بمعنى: أو فليحاجوكم فإنهم يغلبونكم[(٦)]. هذا تفسير ابن عطية وإعرابُه، وهو غير صحيح؛ لأنه يؤدي إلى حذف حرف الجزم وإبقاء عمله، وذلك لا يجوز إلا ما جوزه بعضهم / [...][(٧)] هذه اللام على خلاف وتفصيل حققناه في غير هذا [٣٢/ب] الكتاب.

السابع: أن قبل ﴿يُؤْتَىٰٓ﴾ حرف نفي مقدر، وهو لا، [وتكون أو بمعنى إلا][(٨)]، والتقدير: ولا تؤمنوا لأحد بشيء إلا لمن تبع دينكم، بانتفاء أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم، وجاء بمثله وعاضداً له، فإن ذلك لا يؤتاه غيركم

---

(١) قراءة شاذة: لم أقف عليها رغم البحث عنها في كتب القراءات الشاذة.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٢٣/١)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٥/١).

(٣) ينظر: الكشاف (٤٠١/١)، المحرر الوجيز (٢٥٤/٢).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٥١٩/٢).

(٥) ذهبت في المخطوط بسبب الطمس، واستدركتها من «الدر المصون» للمصنف، (٢٥٥/٣)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢٥٤/٢)، وبها يستقيم السياق.

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٢٢/١)، جامع البيان (٥٠٧/٥)، معاني القرآن وإعرابه (٢٩٠/١)، إعراب القرآن للنحاس (٣٨٧/١)، مشكل إعراب القرآن (١٦٢/١)، المحرر الوجيز (٢٥٤/٢).

(٧) طمس في المخطوط بمقدار كلمة، وفوقها حاشية مطموسة بمقدار نصف سطر.

(٨) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية وعليه علامة الصحة.

إلا أن يحاجوكم، كقولك: لألزمنَّك أو تقضيني حقي، وفيه ضعف من حذف لا النافية، وهي لا تحذف إلا إذا نفت مضارعاً جواب قسم، كقوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ ﴾ يوسف: ٨٥، أي: لا تفتؤ. وما ذكروه من دلالة الكلام عليها غير ظاهر.

الثامن: أن تكون أن حرف نفي بمعنى لا، نقل ذلك بعض النحاة عن الفراء نصًّا[(١)]، وتكون أو حينئذٍ بمعنى إلا، والتقدير: لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا أن يحاجوكم، فإن إيتاءه ما أوتيتم مقرون بمغالبتكم أو بمحاجتكم عند ربك، لأن من آتاه الله الوحي لا بد أن يحاجهم عند ربهم في كونهم لا يتبعونه. فقوله: ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ حال من جهة المعنى لازمةٌ، إذ لا يوحي الله إلى رسول إلا وهو محاج مخالفيه[(٢)]. انتهى[(٣)]. وهذا قول ساقط؛ لأنه لم يثبت من لسانهم: أنْ أقوم؛ بمعنى: لا أقوم، وأنْ أفعل؛ بمعنى: لا أفعل؛ فلا يرجَع إليه.

التاسع: كون ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ مفعولاً من أجله، ويحتاج في تقدير ذلك إلى تأمل، وهو أن يجعل قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ إلى ﴿ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ من قول الطائفة وليس داخِلاً في حيز ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ ﴾، بل متصلاً بقوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ والتقدير: ولا تؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم مخافة أن يؤتى أحد من النبوة والكرامة مثل ما أوتيتم، ومخافة أن يحاجوكم بتصديقكم إياهم عند ربكم إذا لم تستمروا عليه، وهذا القول منهم ثمرة حسدهم وكفرهم مع معرفتهم بنبوة محمد ﷺ[(٤)]. ولما قدّر أبو العباس[(٥)] المفعول من

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٠٩/١).

(٢) ينظر لهذا الوجه في: تفسير الراغب (٦٤٣/١)، معاني القرآن للكسائي ص (١٢٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٢٩٠/١)، وإعراب القرآن للنحاس (٣١١/١)، المحرر الوجيز (٢٥٥/٢).

(٣) البحر المحيط (٥١٩/٢).

(٤) ذكر ابن المنذر في تفسيره نحو هذا المعنى عن قتادة (٢٥٥/١)، وابن عطية في المحرر الوجيز الوجيز (٢٥٥/٢).

(٥) هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس، المشهور بـ (المبرد) إمام النحو وصاحب الكامل، كان فصيحاً بليغاً علاّمة، توفي سنة (٢٨٥)هـ. ينظر: إنباه الرواة (٢٤١/٣)، بغية الوعاة (٢٦٩/١).

من أجله هنا، قدر المضاف: كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أي ممن خالف دين الإسلام، لأن الله لا يهدي من هو كاذب كفار، وهدى الله بعيدٌ من غير المؤمنين[(١)]. واستضعف الشيخ هذا الوجه فقال: ويحتاج إلى تقدير عامل فيه، ويضعُفُ تقديره، إذ قبله جملة لا يظهر تعليل النسبة فيها بكراهة الإيتاء المذكور. انتهى[(٢)]. ولقائل أن يقول: لا يحتاج في هذا القول إلى إضمار عامل؛ لأن قوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ عامل فيه من جهة المعنى كما قررناه غير مرة، أي: ولا تؤمنوا إلا لمن هذه صفته مخافة / أن [٣٣/أ] يؤتى أحد، فقوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ هو المعلل بقوله: مخافة أن يؤتى. ثم على تقدير أن يكون العامل مقدراً، لا نسلم أن قبله علة لا يناسبها التعليل بالكراهة المذكورة؛ لأن قبلها قوله: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ وهو مناسب لذلك، وكأن الشيخ عنى بتلك الجملة قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾، ولا شك أن هذا لا يناسب تلك العلة، لكن لا نُسَلم أن المتقدم منحصر فيما ذكر[(٣)].

العاشر: أن لا النافية مقدرة بعد أن من قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾، والتقدير: أن لا يؤتى أحد، وجعله نظير قوله تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ النساء: ١٧٦، أي: لئلا تضلوا[(٤)].

وقد ردَّ المبرد هذا وقال: لا تحذف «لا» هنا، وإنما المعنى كراهة[(٥)]. وهذه المسألة فيها خلاف بين البصريين والكوفيين:-

---

(١) نقله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٠٩/١) باختصار.

(٢) البحر المحيط (٥١٩/٢)، وينظر: ترجيحات أبي حيان في التفسير ص (١٨٤)، المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري (١٤١/١).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٥١٩/٢).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٢٢/١)، معاني القرآن وإعرابه (٢٩٠/١)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٥/١)، المحرر الوجيز (٢٥٧/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤٧٩/٢).

(٥) نسب هذا القول للمبرد؛ الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٤٣١/١)، والنحاس في إعراب إعراب القرآن (٥١١/١). وجاء في المحرر الوجيز (٢٥٧/٢): "كراهة أن تضلوا".

فالكوفيون يقدرون في نحو هذا لا النافية، والبصريون يقدرون اسماً مضافاً، أي [ ][(١)]، وكأنهم رأوا أن المضاف حذف كثيراً وقام المضاف إليه مقامه، وتقدم بحث الشيخ مع المبرد في أن يقدر ما ذكرته، وهو لفظ مخافة[(٢)]. وقرأ ابن كثير وأهل مكة: ((**أأن يؤتى**)) بهمزة استفهام[(٣)]، وهو على قاعدته في اجتماع الهمزتين من كونه يسهل الثانية بين بين من غير أن يفصل بينهما بمدة، نحو: ﴿أأنذرتهم﴾ وبابه.

وفي هذه القراءة خمسة أوجه[(٤)]:-

أحدُها: أن ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ في محل جر أو نصب، لأنها على حذف حرف الجر - وهو لام العلة - والفعل العامل في هذا الجار محذوف لدلالة الكلام عليه، تقديره: ألأَنْ يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر يهود قلتم ما قلتم ودبرتم ما دبرتم؟ وتقدم تحقيق هذا.

الثاني: أن ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ في موضع رفع بالابتداء، وخبره محذوف، تقديره: ألأَن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والعلم تصدقون به أو تعترفون به أو تذكرونه لغيركم أو تشيعونه في الناس، ونحو ذلك مما يحسن تقديره، وهذا عند من يقول: «أزيدٌ ضربته»[(٥)]، برفع زيد، وهو وجه مرجوح[(٦)]. وهذا التقدير قدره

---

(١) طمس في المخطوط، بمقدار كلمتين.

(٢) قال أبو حيان في تفسيره (٥١٩/٢) بعد أن حكى قول المبرد: ويحتاج إلى تقدير عامل فيه ويصعب تقديره، إذ قبله جملة لا يظهر تعليل النسبة فيها بكراهة الإيتاء المذكور.

(٣) قراءة متواترة. ينظر: السبعة ص (٢٠٧)، التيسير ص (٧٤)، التذكرة (٢٩٠/٢)، الإقناع (٦٢١/٢)، تقريب النشر ص (١٠١).

(٤) ينظر لهذه الأوجه الثلاثة في: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها لمكي (٣٤٧/١).

(٥) أي يجيز وقوع الاسم بعد همزة الاستفهام وهو قليل.

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٢٥٦/٢)، زاد المسير (٢٩٤/١).

الفارسي[(١)] وتبعه الواحدي فيه[(٢)]، وأحسن منه في التقدير الصناعي[(٣)]: أإتيان أحد مثل ما أوتيتم ممكن أو مصدق / [به][(٤)]. [٣٣/ب]

الثالث: أن يكون منصوباً بفعل مقدر يفسره فعل آخر مضمر، وتكون المسألة من باب الاشتغال، أي: أتذكرون أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تذكرونه؟ فتذكرون الآخر مفسر لتذكرون الأول، وجاز له أن يفسر وهو محذوف لقوة الدلالة عليه حتى كأنه موجود منطوق. وقد نص ابن مالك على هذه المسألة. وهذا الوجه أوجه من الذي [قبله][(٥)]؛ لأن إضمار الفعل في «أزيداً ضربته» أولى، لأن الأداة أولى بالفعل، وإن كان الرفع مغنياً عن الإضمار. ومثل حذف هذا الفعل المقدر لدلالة الكلام عليه؛ حذفه في قوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ يونس: ٩١، تقديره: الآن رجعت أو تُبتَ أو ءامنت، ونحو ذلك.

الوجه الرابع: أن يكون ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ منصوباً بفعل مقدر، لا على سبيل التفسير بفعل آخر؛ بل لمجرد الدلالة المعنوية، تقديره: أتذكرون أو أتشيعون أن يؤتى أحدٌ، ذكره أبو علي[(٦)].

الخامس: أن يكون مفعولاً من أجله، على أنه داخل تحت القول لا من قول الطائفة، وهو أظهر من جعله من مقول الطائفة. وقد ضعف الفارسي قراءة ابن كثير فقال: وهذا موضع ينبغي أن ترجح فيه قراءة غير ابن كثير؛ لأن الأسماء المفردة ليس

---

(١) الحجة (٢/٢٢٧). وينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٦).

(٢) ينظر: الوسيط (١/٤٥٠).

(٣) في الدر المصون للمصنف (٣/٢٥٧) " وأحسن من هذا التقدير لأنه الأصل:"

(٤) مكانه طمس في المخطوط، واستدركته من «الدر المصون» للمصنف (٣/٢٥٧) لأجل السياق.

(٥) سقط من المخطوط، ولا بد منه لاستقامة المعنى كما عند المصنف في «الدر المصون» (٣/٢٥٨).

(٦) في الحجة (٢/٢٢٧).

بالمستمر فيها أن تدل على الكثرة[(١)]. وأحدٌ هذا المذكور في هذه الآية يجوز أن يكون من الأسماء اللازمة للنفي كـ «غريب» وأخواته، وأن يكون بمعنى واحدٍ، وهذا إذا كان الكلام فيه معنى الجحد، أما إذا لم نجعل في الكلام معنى الجحد فيتعين أن يكون بمعنى واحد. وتقدم الفرق بين أحد الملازم للنفي بأن همزته أصلية، وأحد الذي بمعنى واحدٍ أن همزته بدل من واو؛ لأنه من الوحدة. وإذا قيل بأنه الملازم للنفي ظهر عَوْدُ الضمير في ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾ جمعاً عليه لأنه عامٌّ. وإذا قيل بأنه بمعنى واحد كان عود الضمير عليه باعتبار أن المراد به الرسول وأتباعه، وقد تقدم ذلك. وقال الواحدي: فإن قيل: كيف وُجد دخول أحد في هذه القراءة وقد انقطع من النفي والاستفهام[(٢)]، وإذا انقطع الكلام إيجاباً وتقريراً فلا يجوز دخول أحد؟[(٣)] قيل: يجوز أن يكون أحد / [٣٤/أ] في هذا الموضع أحداً الذي في نحو: أحد وعشرين، وهذا يقع إيجاباً وتقريراً، ألا ترى أنه بمعنى واحد؟[(٤)] وقال المبرد: إن أحداً ووحداً وواحداً بمعنى[(٥)]. و«أو» في هذه القراءة -أعني قراءة ابن كثير- بمعنى حتى، وتقديره: أأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تذكرونه لغيركم حتى يحاجوكم عند ربكم؟! قال الفراء: ومثله في الكلام: تعلقْ به أو يعطيَك حقك[(٦)].

---

(١) الحجة (٢/٢٢٨)، وينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٧)، وذلك لأن "أحد" عندما انقطع في قراءة ابن كثير عما قبله بسبب وجود الاستفهام أصبح بمعنى واحد، فالاستفهام القاطع منع من أن يشيع معنى أحد لامتناع دخوله في النفي الذي في أول الكلام.

(٢) أي: لم يأت قبله نفي أو استفهام، لأن الاستفهام الداخل على "أن" في قراءة ابن كثير قطع الكلام.

(٣) الوسيط (١/٢٥١)، وينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٧).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٧).

(٥) نقله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/٢٠٩).

(٦) ينظر: معاني القرآن (١/٢٢٣).

ومثله قول امرئ[١] [القيس][٢]:

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول مُلكاً أو نموتَ فنُعْذَرا[٣]

أي: حتى.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ آل عمران: ١٢٨. قال: فهذا وجهٌ، وأجود منه أن تجعله عطفاً على الاستفهام، والمعنى: أأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجَّكم أحد عند الله تصدقونه؟! وهذا كله معنى قول الفارسي[٤].

وقد تقدم التنبيه على الخلاف في هذه الآية، هل هي من كلام الطائفة أو من كلام الله تعالى، وأن ابن عطية نقل الإجماع على الأول[٥]، وأنه ليس بمصيب وذلك لثبوت الخلاف وعلى المتكلم في ذلك أقوال:

أحدها: أن الآية كلها -إلا المصدرة بقل- من كلام الطائفة.

والثاني: أنه من كلام الباري تعالى، وتقدم توجيهه[٦].

---

(١) هو: امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو الكندي، أشتهر بلقبه ويعني: الشجاع، من أشهر شعراء العرب في الجاهلية وأحد ملوك كِندة وابن ملوكهم، من شعراء الجاهلية، وأول من فتح باب الشعر. مات سنة: (٥٤٥م). ينظر: طبقات فحول الشعراء (٥١/١)، الشعر والشعراء (١٠٧/١).

(٢) طمس في المخطوط، واستدركته من «الدر المصون» للمصنف (٢٥٨/٣).

(٣) ينظر: ديوان امرئ القيس ص (٩٦)، الخصائص لابن جني (٢٦٤/١)، اللامات للزجاجي ص (٦٨).

(٤) الحجة للفارسي (٢٢٨/٢).

(٥) المحرر الوجيز (٢٥٧/٢).

(٦) وبه قال قتادة والربيع، رواه عنهما الطبري في جامع البيان (٣١٣/٣)، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥٢٠/٢).

والثالث: أن قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ كله من كلام الطائفة لأتباعهم، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ اعتراض بين ما قبله وما بعده من قول الطائفة لأتباعهم، وبهذا قال مجاهد[(١)].

الرابع: أن قوله: ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ ﴾ داخل تحت الأمر الذي هو «قل» يقوله الرسول لليهود، وتم مقوله في قوله: ﴿ أُوتِيتُمْ ﴾، وأما قوله: ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ فهو متصل بقول الطائفة ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ وبهذا قال ابن جريج[(٢)][(٣)].

الخامس: أن قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ إلى آخره مما أمر الله نبيه -عليه السلام- أن يقوله، فهو من كلام الباري تعالى. وبهذا قال الربيع وقتادة والسدي[(٤)]، إلا أن السدي قال: «أُمِر أن يقوله لأمته»[(٥)]. وقال قتادة والربيع: «أُمِر أن يقوله للطائفة القائلة: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾»[(٦)].

---

(١) رواه الطبري في جامع البيان (٣/٣١٤)، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٥٤)، وابن أبي حاتم (٢/٣٤٥). وينظر: الكشاف (١/٣٩٩)، مدارك التنزيل للنسفي (١/١٦٠).

(٢) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، كان ثقة، يقال: إنه أول من صنف الكتب، وكان عطاء يقول: (ابن جريج سيّد شباب أهل الحجاز) توفي سنة (١٥٠)هـ. ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٨/١٢٤)، طبقات المفسرين للداوودي (١/٣٥٢).

(٣) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥٠٧)، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٥٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٢/٦٨٢)، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢/٥٢٠).

(٤) وهو ظاهر كلام الفراء في معاني القرآن، واختاره أبو حيان في البحر المحيط (٢/٥١٨).

(٥) رواه ابن الطبري في جامع البيان (٥/٥٠٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٤٣)، المحرر الوجيز (٢/٢٥٧).

(٦) الروايتان عنهما في جامع البيان (٥/٥٠٣)، والمحرر الوجيز (٢/٢٥٨)، والبحر المحيط (٢/٥٢٠)، وينظر لهذه الأقوال في التفسير الكبير (٨/١٠٦).

وقرأ الأعمش[(١)] وشعيب بن أبي حمزة[(٢)]: «إِنْ يؤتى» بكسر الهمزة[(٣)]، وخرّجها الزمخشري على أنها النافية، فقال: وقرئ: «إِنْ يؤتى أحد» على «إِنْ» النافية، وهو متصل / بكلام أهل الكتاب، أي: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، وقولوا [٣٤/ب] لهم: ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم، يعني: ما يؤتون مثله فلا يُحاجُّوكم. انتهى[(٤)]. وقال ابن عطية: وهذه القراءة تحتمل أن يكون الكلام خطاباً من الطائفة القائلة، ويكون قولها: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾ بمعنى: أو فليحاجوكم، وهذا على التصميم على أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتي، أو تكون بمعنى: إلا أن يحاجوكم. وهذا على تجويز أن يؤتى أحد ذلك إذا قامت الحجة له[(٥)]. وقال أيضاً: كأنه قال -عليه السلام- -عليه السلام- يخبر أمته: إن الله لا يعطي أحداً، ولا أعطى فيما سلف مثل ما أعطى أمة محمد من كونها أمة وسطاً. انتهى[(٦)]. فجعل هذا من مقول الرسول [ﷺ] لا من مقول الطائفة، بخلاف الوجه قبله، فإنه عنده من مقول الطائفة كما صرح به هو، وقد تقدم ذلك عن الزمخشري أيضاً[(٧)].

---

(١) هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبومحمد الكوفي، الأعمش، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع لكنه يدلس، روى له الستة، مات سنة (١٤٧)هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٧٦/١٢)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١١٦/١).

(٢) هو أبو بِشر شعيب بن أبي حمزة، واسمه دينار الحمصي القرشي مولاهم، ثقة من أهل حمص، كان حافظاً للحديث ثبتاً فيه، سمع من الزهري، ودارسه القرآن، روى له الجماعة، مات سنة (١٦٢)هـ. ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٧٦/٢)، سير أعلام النبلاء (٥٩٣/٦).

(٣) قراءة شاذة: نسبها ابن خالويه للأعمش وطلحة، المختصر ص (٤٢)، ونسبها الكرماني في شواذ القراءات لسعيد بن جبير والأعمش ص (١١٥). ونسبها النحاس في معاني القرآن للأعمش (٤٢٢/١)، ونسبها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٨٠/٢) لسعيد بن جبير. وينظر: وإعراب القراءات الشواذ للعكبري (٣٢٧/١)، والقراءات الشاذة للقاضي ص (٣٥).

(٤) الكشاف (٤٠١/١).

(٥) المحرر الوجيز (٢٥٧/٢).

(٦) المحرر الوجيز (٢٥٨/٢).

(٧) الكشاف (٤٠١/١). وينظر: المحرر الوجيز (٢٥٨/٢).

وقرأ الحسن: «إن يُؤْتِي أحدٌ»[١] ببناء الفعل للفاعل مسنداً إلى أحد.

قال ابن عطية: والمعنى: إن إنعام الله لا يشبهه إنعام أحد من خلقه. وأظهر ما في هذه القراءة أن يكون خطاباً من محمد ﷺ لأمته، والمفعول محذوف تقديره: إن يؤتي أحدٌ أحداً، انتهى[٢].

ولما نقل ابن عطية وأبو البقاء[٣] وغيرهما هذه القراءة لم يتعرضا لكسر إن ولا لفتحها، ولكن الظاهر أنها في قراءة الحسن مكسورة، وعليه ينطبق تفسير ابن عطية، على أن السجاوندي قد صرح بذلك فقال: وقرأ الأعمش: «إن يؤتى»[٤] والحسن: «إن يؤتي أحدٌ»، جعلا إن نافية وإن لم يكن بعدها إلا، كقوله عز وجل: ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ الأحقاف: ٢٦، وأو بمعنى إلا أنْ، وهذا يحتمل قول الله -عز وجل-، ومع اعتراضِ قل قولَ اليهود. انتهى[٥]. فقوله: «جعلاها نافية» نص في كسر همزتها فيهما، غاية ما فيه أن الأعمش موافق للعامة في ﴿يُؤْتَىٰٓ﴾، والحسن يخالفهم فيها كما تقدم. وهذه الآية لم يزل الناس يستشكلون الكلام عليها، حتى قال الواحدي مع جلالته وكثرة تنقيره: وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيراً، ولقد تدبرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولاً يطرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النظم. انتهى[٦].

---

(١) قراءة شاذة، تنسب للحسن البصري. ينظر: المحتسب (١/٢٦٠)، المحرر الوجيز (٢/٢٥٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٨٠)، البحر المحيط (٢/٥٢١).

(٢) المحرر الوجيز (٢/٢٥٩).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٥٩)، الإملاء (١/١٣٩).

(٤) تقدم تخريج القراءة في الصفحة السابقة.

(٥) عين المعاني (٣/٩٣١).

(٦) قال النحاس في إعراب القرآن (١/١٦٥): "هذه الآية من أشكل ما في السورة". وينظر: الوسيط (١/٤٥٥)، الدر المصون (١/٨٣٥).

و﴿ مَآ ﴾ في ﴿ مِّثْلَ مَآ ﴾ يجوز أن تكون الموصولة، فيكون العائد محذوفاً، أي: مثل الذي أوتيتموه، أو نكرة موصوفة، فالعائد مقدر أيضاً، أي: مثل شيء أوتيتموه، غير [أنه][(١)] على الوجه الأول تكون الجملة لا محل لها لكونها صلة، ومحلها الجر على الثاني، و﴿ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ متعلق بيحاجوكم، والعندية مجاز؛ لتعاليه عن المكان[(٢)]، [ولكن يجوز أن يكون ذلك في الآخرة، أي بين يدي ربكم عندما تختصمون، وأن يكون في الدنيا، وحينئذٍ فلا بد من حذف مضاف تقديره: أو يحاجوكم عند كُتُب ربكم، لأنها طافحة بحقية ما جاء به نبيهم][(٣)]. [١/٣٥أ] /

---

(١) مكانها طمس في المخطوط، وبها يستقيم السياق.

(٢) مذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة العلو لله -سبحانه وتعالى- علواً ذاتياً على ما يليق به، واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة: أما الكتاب فقد تنوعت دلالته على علو الله؛ فتارة بذكر العلو مثل قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ البقرة: ٢٥٥، وتارة بذكر الفوقية مثل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ الأنعام: ١٨، وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده مثل قوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ السجدة: ٥، وتارة بذكر صعودها إليه مثل قوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ فاطر: ١٠، وتارة بكونه في السماء مثل قوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ الملك: ١٦. وأما السنة فقد تواترت عن النبي -ﷺ- من قوله وفعله وإقراره؛ ومن ذلك: قوله عليه -الصلاة والسلام-: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء». متفق عليه. صحيح البخاري، كتاب: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن، رقم: (٤٣٥١). وصحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم رقم: (١٠٦٤). ومن فعله: رفع يديه إلى السماء في الدعاء. ومن إقراره: حديث معاوية بن الحكم -رضي الله عنه- أنه أتى بجارية يريد أن يعتقها، فقال لها النبي -ﷺ-: «أين الله؟». قالت: في السماء. فقال: «من أنا؟». قالت: رسول الله. قال: «أعتقها؛ فإنها مؤمنة». رواه مسلم، كتاب: المساجد، باب: تحريم الكلام في الصلاة، رقم: (٥٣٧). وينظر للمسألة وبقية الأدلة في: العقيدة الواسطية ص (٧٧)، شرحها للعثيمين ص (٣٩٢).

(٣) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف في الحاشية في عرض الصفحة.

والمراد بالفضل: النبوة[(١)]، أو القرآن[(٢)]، أو الحكم التي أوتوها؛ لأن اليهود حسدهم على ذلك كله، وكذلك الهدى. وهذه الجملة كالتأكيد لقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾. وفيه تكذيبٌ لليهود حيث زعموا أن شريعتهم لا تُنسخ، وأن الله لا يؤتي أحداً مثل ما آتاهم[(٣)]، لأنهم -لسخافة عقولهم- يدّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، فأخبر تعالى أن الهدى هداه، يضعه حيث يشاء[(٤)]، في عربي أم أعجمي، إسرائيليًّا كان أو غير إسرائيلي، وأن الفضل بذلك بيده يتصرف فيه كيف يشاء، لا يقتصر به على أحد دون آخر إلا بإرادته ومشيئته، وبـ «يد الله» كناية عن تمام التصرف وكمال الملك، كما تقول: الأمر بيد زيد، تعني: لا يد على يده تمنعه مما يريد. والباري تعالى منـــزّه عن الجارحة[(٥)(٦)]. والضمير محذوف من قوله: ﴿ يَشَآءُ ﴾،

---

(١) قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: نبوته وهداه يؤتيه من يشاء (٤٣١/١). وفي زاد المسير عن ابن عباس: يعني النبوة والكتاب والهدى يؤتيه من يشاء (٢٩٥/١)، وينظر: جامع البيان (٥١٧/٦)، تفسير ابن المنذر (٢٥٩/١) ونسبه لمجاهد، تفسير ابن أبي حاتم (٦٨٢/٢)، والنكت والعيون (٤٠٢/١)، التفسير الكبير (١٠٩/٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥١٨/٦)، تفسير ابن المنذر ونسبه لابن جريج، النكت والعيون (٤٠٢/١)، تفسير السمعاني (٣٣٣/١)، زاد المسير (٤٠٨/١).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (١٣٠/٣).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩١/١).

(٥) الجارحة، مفرد جوارح، وجوارح الإنسان: أعضاؤه وعوامل جسده كيديه ورجليه، وواحدتها جارحة. لأنهن يجرحن الخير والشر أي يكسبنه. لسان العرب مادة: (جرح) (٤٢٣/٢).

(٦) من المعلوم قطعاً تنـــزه الله عز وجل عن مشابهة المخلوقين ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، أمَّا تأويل صفة اليد فهو طريقة المؤوِّلة، ولفظ الجارحة لم يرد نفياً ولا إثباتاً، وأهل السنة يثبتون لله يدين تليق بجلاله وعظمته، لا تماثل أيدي المخلوقين. بل الآية دليل على إثبات اليد لله عز وجل، يدان حقيقيتان تليق به سبحانه، والبهتان العظيم والجرم الكبير هو نفي صفة اليد لله -عز وجل -الذي يدلُّ عليها دلالة لا تقبل التأويل بوجه، قوله ==

لأنه عائد على «مَنْ» الموصولة أو الموصوفة، إذ التقدير: يؤتيه الذي يشاؤه، أو شخصاً يشاؤه. ثم أخبر أنه صاحب الفضل العظيم الواسع، وتقدم تفسير مثلها، وأنه لا يقال في جانب الله: ذو كذا، وجوّزه بعضهم[(١)]. وتقدم أيضاً أن ﴿ يَخۡتَصُّ ﴾ يجوز أن يكون:-

- متعديًّا، وأن فيه ضميراً عائداً على الله تعالى هو الفاعل، و ﴿مَن ﴾ هو المفعول، وأن التقدير: يفرد برحمته من يشاؤه.
- وأن يكون لازماً، و﴿مَن ﴾ فاعل، والتقدير: ينفردُ برحمته من يشاء[(٢)].

وأن بعضهم زعم أنه متعدٍّ فقط، وهو غلط، فأغنى ذلك عن إعادته هنا. وناسب ختم الأولى بصفتي الوَسْع والعلم؛ لأنه بعد قوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾، ففضله وبره واسع يسع خلقه أجمعين، عليم بمن يشكره على ذلك الفضل فيثيبه، أو يكفره فيعاقبه. وناسب ختم قوله: ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ ﴾ بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ لأن من كان متصرّفاً تصرّفاً تامًّا / يختصّ برحمته من يشاء؛ كان جديراً [٣٥/ب]

==

-عز وجل-: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ سورة ص (٧٥)، وقوله -سبحانه- : ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة:٦٤، والذي هو مذهبٌ للمعتزلة واستقرَّ عليه قول متأخِّري الأشاعرة، ينظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ص (٢٩١)، شرح العقيدة الواسطية للفوزان ص (٤٩-٥٠).

(١) ينظر: تفسير الراغب (٦٥١/١). ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات الأسماء والصفات لله سبحانه كما أثبتها الله في كتابه، ورسوله -ﷺ- في سنته، كما يليق بالله سبحانه وتعالى، من دون تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٥٠/٢) عند هذه الآية: "يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم" أي: اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمداً -ﷺ- على سائر الأنبياء، وهداكم به لأحمد الشرائع. اهـ

بأن يوصف بأنه ذو الفضل العظيم، ونسأل الله تعالى -بجاه محمد[(١)] ﷺ- أن يهب لنا فضله العظيم.

● قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ٧٥ -٧٦.

وجه مناسبتها لما تقدمها، أنه لما تقدم ذكر ذم اليهود، وكان منهم من آمن وصلحت حاله، عقب ذلك بذكرها؛ نفياً لأن يكونوا كلهم باقين على ذلك، فقسمهم قسمين[(٢)].

---

(١) الاستغاثة والدعاء بجاه النبي -ﷺ- بعد وفاته لا تجوز، لأن النبي أو غير النبي لا يدعى ولا يسأل ولا يستغاث به، والذي ينبغي هو التوسل بأسماء الله وصفاته، وبالعمل الصالح، وبالفقر والحاجة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند ذكره لهذه المسألة: "وما يرويه بعض العامة من أن النبي -ﷺ- قال "إذا سألتم الله فإسألوه بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم" فهو حديث كذب موضوع لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو فى شيء من كتب المسلمين المعتمدة فى الدين. ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٦/٢٧)، شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص (٢١١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥٠٨/٥)، المحرر الوجيز (٢٥٩/٢)، التفسير الكبير (١١٠/٨).

وسبب إنزالها - فيما نقل الزمخشري عن ابن عباس: «أن رجلاً من قريش استودع عبد الله بن سلام[١] ألفاً ومائتي أوقية[٢] فأداه إليه[٣]. وأن رجلاً من قريش أيضاً استودع فنحاص بن عازوراء اليهودي[٤] ديناراً[٥] فجحده إياهُ وخانه»[٦].

ولما نقل ذلك الشيخ عن ابن عباس قال: ولا ينحصر الشرط في ذينك المعنيين، بل كلٌّ منهما فردٌ ممن يندرج تحت ﴿مَنْ﴾، ألا ترى كيف جمع في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ آل عمران: ٧٥ ؟![٧]. وقيل: المراد بأهل الكتاب هم المؤمنون أهل القرآن، فالكتاب هو القرآن، وبهذا قال ابن جريج[٨]. ورُدّ هذا بأن ما بعده يأباه؛

---

(١) عبد الله بن سلام بن حارث، صحابي جليل، شهد فتح بيت المقدس، توفي سنة (٤٣)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤١٣/٢)، الإصابة (١٠٢/٤).

(٢) الأوقية: جمع أواقي وهي أربعون درهماً. وقيل: الأوقية من الفضة = (١١٩) جراماً عند الجمهور، وأوقية الذهب = (٢٩.٧٥) جراماً. ينظر: النهاية، لابن الأثير، مادة: (أوق)، معجم لغة الفقهاء ص (٩٧)، معجم غريب الفقه والأصول للحفناوي ص (٥٥١)، المكاييل والموازين الشرعية د. علي جمعة محمد.

(٣) القصة منسوبة لابن عباس ﷺ في: تفسير مقاتل (١٧٧/١) وفي الكشف والبيان (٩٤/٣)، الكشاف (٣٦٧/١)، وزاد المسير (٣٤٧/١) عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس -ﷺ- وجويبر: ضعيف، التفسير الكبير (١١١/٨).

(٤) هو فنحاص بن عازوراء، من يهود بني قينقاع بالمدينة، انفرد فيهم بمعرفة الكتاب بعد إسلام عبد الله بن سلام. ينظر: السيرة الحلبية (١٤٥/٢).

(٥) الدينار وزن من الذهب يقدر بـــ= (٤.٢٥) جراماً وقيل (٤.٥٣) جراماً. ينظر: المفردات ص (١٧٢)، لسان العرب (دنر) (٢٩٢/٤)، مجلة البحوث الإسلامية (١٩٣/٥٩) بحث في تحويل الموازين والمكاييل.

(٦) ينظر: الوسيط (٤٥١/١)، تفسير السمعاني (٣٣٣/١)، تفسير البغوي (٥٦/٢)، أحكام القرآن لابن العربي (٣٧٦/١)، التفسير الكبير (١١١/٨). والخبر فيه جويبر متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس، فالخبر باطل كما ذكر محقق زاد المسير (٢٩٥/١).

(٧) البحر المحيط (٥٢٣/٢) ونسبه لابن جريج.

(٨) ينظر: البحر المحيط (٥٢٣/٢).

وهو قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾، فإن أهل القرآن لا يقولون ذلك. والقول بأن الضمير في ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ إلى آخره، عائد على اليهود خاصة، وأنه من تلوين الضمائر؛ بعيد جدًّا[(١)]. وقيل: المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، أخبر الله تعالى أن منهم أمنةً ومنهم خونةً[(٢)]. وقيل: هم اليهود خاصةً، وذلك أنه لم يقل: ليس علينا في الأميين سبيل، ويعتقد ذلك ويتدين به غير اليهود[(٣)].

---

(١) وقد خاطب القرآن اليهود والنصارى بأهل الكتاب، وذلك بعد تكذيبهم لرسول الله -ﷺ- وكفرهم به وتحريفهم كتابهم، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٧٠-٧١. وممن ردَّ هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٥٢٣/٢) بقوله: "وليس فيها ما يدل على أنها نزلت في المسلمين".

(٢) ينظر: التفسير البسيط (٣٦٠/٥)، المحرر الوجيز (١٣٠/٣)، واختاره الزمخشري في الكشاف (٤٠١/١)، والرازي في التفسير الكبير (٨٨/٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥٢٣/٢).

(٣) هذا اختيار الطبري في جامع البيان (٥٠٨/٥)، والواحدي في الوجيز (٢١٨/١)، والسمعاني في تفسيره (٣٣٣/١). وينظر: معالم التنـــزيل (٤٥٧/١)، المحرر الوجيز (٤٥٩/١)، أحكام القرآن لابن العربي (٢٧٦/١)، زاد المسير (٢٩٥/١).

وقيل: المأمون بقنطار[(١)] ويؤديه هم النصارى؛ [لغلبة الأمانة فيهم][(٢)]، والمأمون بدينار ويخون فيه هم اليهود؛ لغلبة الخيانة فيهم[(٣)]، وذكر أن منهم كعب بن الأشرف -لعنه الله- ورهطه -لعنهم الله تعالى-[(٤)]. وقيل: المأمون بقنطار المؤديه هم من أسلم من أهل الكتاب، والمأمون بدينار غير مؤديه هم من لم يُسلم منهم[(٥)]. فإن أريد بأهل الكتاب اليهود أو المؤمنون فـ «ال» في الكتاب / للعهد، وإن أريد بهم اليهود والنصارى فـ «ال» فيه للجنس؛ لأن المراد التوراة والإنجيل. و﴿وَمِنْ أَهْلِ﴾ خبر مقدم عند سيبويه، و﴿مَنْ﴾ مبتدأ مُؤخر، والأخفش يجيز أن يكون ذلك من باب الفاعل. والجملة الشرطية بعد ﴿مَنْ﴾ إما صلة إن كانت ﴿مَنْ﴾ موصولة، فلا محل لها من الإعراب، وإما صفة إن كانت «مَنْ» نكرة موصوفة، فتكون الجملة الشرطية في موضع رفع لأنها صفة لـ ﴿مَنْ﴾ المرفوعة المحل، أي: ومن أهل الذي إن تأمنه، أو [٣٦/أ]

---

(١) قال ابن سيدة في المحكم (٣٨٥/٦): القنطار أربعون أوقية، وقال مكي في العمدة في غريب القرآن ص (٩٧): القنطار ثمانون ألف درهم، وقيل: ملء جلد ثور. وقال في تفسير المشكل ص (١٢٥): القنطار ألف مثقال، وقيل: مائة رطل، وقيل ثمانية آلاف مثقال. والخلاف في مقدار القنطار مشهور بين أهل اللغة إلخ، ووردت فيه أثار كثيرة عن السلف، وأولى الأقوال في ذلك هو: أن القنطار المال الكثير الذي لا يُحد، وينظر خلاف السلف في تفسيره: جامع البيان (٢٠٠/٣)، معاني القرآن وإعرابه (٢٩١/١) والمحرر الوجيز (٢٦٠/٢)، التفسير الكبير (١١١/٨). والقنطار الآن يساوي عند الجمهور (١٤٢.٨) كيلوا جراماً. ينظر: معجم غريب الفقه والأصول للحفناوي ص (٥٠١).

(٢) ما بين المعقوفتين ألحقه المؤلف خارج السطر إلى أعلى وعليه علامة الصحة.

(٣) هذا معنى رواية عكرمة التي رواها ابن المنذر (٢٥٧/١). وينظر: تفسير القرآن للسمرقندي (٢٤٩/١)، الكشف والبيان (٩٥/٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٢٧٦/١)، زاد المسير (٢٩٥/١).

(٤) ينظر: الكشف والبيان (٩٤/٣)، معالم التنـــزيل (٤٥٨/١).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (٩٤/٣)، وزاد المسير (٣٤٧/١) وعزاه لمقاتل.

شخص تأمنه، وراعى لفظ «من» فأفرد في قوله: ﴿تَأْمَنْهُ﴾ و﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾، ومعناها[١] فجمع في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ إلى آخره. والقنطار تقدم ذكره أول السورة[٢]، والدينار لم يختلف جاهليةً ولا إسلاماً بخلاف الدرهم. قالوا: والدينار أربعة وعشرون قيراطاً[٣]، كل قيراط زنة ثلاث حبات من حبات الشعير المتوسط، فالمجموع اثنتان وسبعون حبة من الشعير.

وهو لفظ أعجمي عربته العرب[٤]، ومع ذلك قال التصريفيون فيه: إن ياءه بدل من النون، إذ الأصل «دنّار» بنون مشددة[٥]، وإنما أحوجهم إلى ذلك قولهم في في الجمع: دنانير، وهذا كما قالوا في قيراط وديوان: إن أصلهما قرّاط ودوّان، بتشديد الراء والواو، فأبدل أحد المثلين -وهو الأول- ياء تخفيفاً، لقولهم: قراريط ودواوين، لما فصلت الألف في الجمع بين المثلين عادت الياء إلى أصلها لزوال الثقل، وهذا البدل كالبدل في تظنَّيْتُ، وقصَّيتُ أظفاري، وهو بدل غير [ ][٦].

---

(١) في المخطوط: وعلى معناها، وضرب على كلمة: على.

(٢) يشير إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ آل عمران: ١٤. وهذا موضع سقط في المخطوط.

(٣) القيراط جزء من أجزاء الدينار، وهو في عرف أهل مكة ربع سدس دينار، أي جزءاً من أربعة وعشرين، وأكثر أهل العلم يعتبرون القيراط نصف عشر الدينار، ومقداره من الذهب (٠.٢١٢) جراماً، وفي الفضة (٠.٢٤٧٥) جراماً. ينظر: لسان العرب (قرط) (٣٧٥/٧)، وتاج العروس (قرط) (١٦/٢٠)، مجلة البحوث الإسلامية (١٩٢/٥٩) بحث في تحويل الموازين والمكاييل، معجم غريب الفقه والأصول للحفناوي ص (٥٠١).

(٤) ينظر: كتاب المعرب للجواليقي ص (١٨٧)، زاد المسير (٢٩٥/١).

(٥) ينظر: زاد المسير (٢٩٦/١)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٥٠/٢).

(٦) كلمة لم تتبين لي.

وقال الشاعر:

..... تقضّي البازي إذا البازي كسر[(١)]

يريدُ: تقضُّضَ، فأبدل تخفيفاً. وقرأ العامة: ﴿ تَأْمَنُهُ ﴾ بفتح التاء في الحرفين، والسوسي وورش على أصلهما من إبدال هذه الهمزة ألفاً، وقرأ أبيّ بن كعب[(٢)] «تِيمنه»[(٣)] في الحرفين هنا، و«ما لَكَ لا تِيمَنّا» يوسف:١١[(٤)]، في يوسف، بكسر التاء. التاء.

وكذلك ابن مسعود وأبو الأشهب العقيلي[(٥)]، غير أنهما أبدلا الهمزة ياء محالةً لحركة ما قبلها، كذيب وبير[(١)]. قال ابن عطية بعد حكايته قراءة أبيّ: وما أراها إلا

---

(١) قائله: هو العجاج يمدح به عمر بن عبد الله بن معمر -وهو من الرجز. وصدره: ((إذا الكرام ابتدروا البالغ بدر)) وتقضي البازي أَي: كسَر جَناحَيْه لِشدَّة طَيرانِه؛ وهوى ليقع على الفريسة. ينظر: لسان العرب (٢١٩/٧) مادة: (قضض). والشاهد فيه: قوله: "تقضي البازي" إذ أصله تقضّض البازي. فاجتمع ثلاث ضادات فأبدلوا من إحداهن ياء. ينظر: شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١٤٣/٤).

(٢) هو: أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أبوالمنذر، سيد القراء، من فضلاء الصحابة، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل سنة (١٩)هـ وقيل سنة (٣٢)هـ وقيل غير ذلك، روى له الستة. ينظر: التقريب ص (٢٨٣)، تهذيب الكمال (٢٦٢/٢)، سير أعلام النبلاء (٣٨٩/١).

(٣) قراءة شاذة، ينظر: شواذ القراءات للكرماني ص (١١٥)، وإعراب القراءات الشواذ (٦٨٥/١)، إعراب القرآن للنحاس (١٦٦/١)، المحرر الوجيز (٢٥٩/٢).

(٤) قراءة شاذة، ينظر: شواذ القراءات للكرماني ص (٢٤٢)، المحرر الوجيز (٢٥٩/٢)، وهي في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ يوسف: ١١.

(٥) هو أبو الأشهب جعفر بن حيان العطاردي السعدي البصري الخراز، حدّث عن الحسن البصري وبكر بن عبد الله المزني وغيرهما، ثقة، مات سنة (١٦٥)هـ. ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٠٣/٧)، سير أعلام النبلاء (٦٥٦/٦)، النهاية (١٩٢/١).

لغةً قرشيةً، وهي كسْرُ نون الجماعة كـ «نِستعين»[٢]، وألف المتكلم كقول ابن عمر[٣]: لا إخاله، وتاء المخاطب كهذه الآية، ولا يكسرون الياء في الغائب، وبها قرأ أبيّ في «تِئمنه»[٤]. قال الشيخ: وما ظنه من لغة قريش ليس كما ظن[٥].

قلتُ: قد تقدم / الكلام على ذلك مشبعاً في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في الفاتحة: ٥، وذكرنا الضابط في ذلك فأغنى عن إعادته[٦]. وقال أبو عمرو الداني[٧] بعد نقل قراءة ابن مسعود: وهي لغة تميم[٨]. وأما إبدال الهمزة ياءً في «تيمنه» فلكسرة ما قبلها، كما أبدلوها في بِيْر[٩]. [٣٦/ب]

==

(١) قراءة شاذة: ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣٨٧/١)، المختصر لابن خالويه ص (٢١)، المحرر الوجيز (٢٥٩/٢)، البحر المحيط (٥٢٣/٢).

(٢) قراءة شاذة: قرأ (نِستعين) بكسر النون جناح بن حبيش المقرئ. ينظر: القراءات الشاذة ص (١٠).

(٣) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، أبو عبد الرحمن العدوي، من أحرص الصحابة على اتباع سنة النبي -ﷺ- كان جريئاً جهيراً عابداً، توفي سنة (٧٣)هـ. ينظر: أسد الغابة (٣٣٦/٣)، طبقات المفسرين للأدرني ص (٤).

(٤) المحرر الوجيز (٢٥٩/٢) وتقدم تخريج القراءة.

(٥) البحر المحيط (٥٢٣/٢)، المحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري (١٤٢/١).

(٦) لم أقف عليه في تحقيق سورة الفاتحة للباحث عبد الرحيم القاوش لأن مكانه سقط عنده، وينظر: العقد النضيد للمصنف ص (٦٧٦) تحقيق د. أيمن سويد.

(٧) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني الأندلسي القرطبي، يعرف قديماً بابن الصيرفي، أخذ اللغة والقراءات حتى صار أقرأ أهلِ زمانه، من تصانيفه جامع البيان في السبع، والتيسر، وغيرها، توفي سنة (٤٤٤)هـ. ينظر: معجم الأدباء للحموي (١٦٠٣/٤)، طبقات الحفاظ للسيوطي ص (٤٢٨).

(٨) نقله عن أبي عمرو ابن عطية في المحرر الوجيز (٢٥٩/٢)، وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧٥/٥)، لغة: بكر وتميم.

(٩) ينظر: المحرر الوجيز (٢٦٠/٢)، البحر المحيط (٥٢٤/٢).

وقرأ أبو عمرو وحمزة[١] وأبو بكر[٢] عن عاصم[٣]: «يؤدِّهْ» و«لا يؤدِّهْ» بسكون الهاء وصلاً في الحرفين[٤]. وقرأ قالون: «يؤدهِ» و«ولا يؤدهِ» بكسر الهاء دون صلة فيهما. والباقون بالكسر والوصل بياءٍ، وهذه قراءة واضحة.

فأما قراءة أبي عمرو فذكروا فيها أوجهاً؛ أجودُها: أن الهاء سكنت إجراءً للوصل مجرى الوقف. وقد مرّت منه مواضع؛ منها: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ﴾ البقرة: ٢٥٩، و﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ﴾ البقرة: ٢٥٨، وسيأتي منها شيء آخر أيضاً إن شاء الله تعالى.

وقد أنشد أبو بكر بن مجاهد[٥] على هذه القراءة قول الشاعر:-

وأشربُ الماء ما بي نحوه عطش إلا لأن عيونـــه سيل واديها[٦]

وأنشد أبو الحسن الأخفش أيضاً على ذلك قول الآخر:

---

(١) هو: حمزة بن حبيب بن عمارة، الزيات الكوفي الفرضي، كان إماماً حجة قيّماً، كان الأعمش إذا رآه أقبل قال: وبشر المخبتين، هذا حبر القرآن. توفي سنة (١٥٦)هـ. ينظر: طبقات القراء (١١٢/١)، غاية النهاية في طبقات القراء (٢٦١/١).

(٢) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، الكوفي المقريء، مشهور بكنيته "شعبة" والأصح أنها اسمه، ثقة عابد، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، روى له الستة. مات سنة (٩٤)هـ. ينظر: تهذيب الكمال (١٢٩/٣٣)، سير أعلام النبلاء ٤٩٥/٨).

(٣) هو: الإمام أبو بكر، عاصم بن أبي النجود، الأسدي الكوفي، معدود في التابعين وقد انتهت انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة. توفي آخر سنة (١٢٧)هـ. ينظر: الطبقات الكبرى (٣١٦/٦)، معرفة القراء الكبار للذهبي ص (٥١).

(٤) الأوجه الثلاثة متواترة، ينظر: السبعة: (٢٠٧)، الكشف (٣٤٩/١)، التذكرة (٢٩٠/٢)، (٢٩٠/٢)، المحرر الوجيز (٢٦٠/٢).

(٥) الامام المقرئ المحدث النحوي، شيخ المقرئين، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد مجاهد البغدادي. مصنف "كتاب السبعة"، توفي (٣٢٤)هـ. ينظر: الفهرست لابن النديم (٣١/١)، وغاية النهاية (١٣٩/١).

(٦) لم أهتد لقائله، وهو من رواية قطرب، والشاهد فيه سكُون الهاء في "عيونه". ينظر: سِرّ صناعة الإعراب (٧٢٧/٢)، الدر المصون (٤٢٠/٣)، خزانة الأدب (٢٦٦/٥).

فبتُّ لدى البيت العتيق أخيله ومَطواي مشتاقان لـــه أرقانِ[١]

ولا يُلتفت لقول بعض النحويين إن ذلك لا يجوز إلا في ضرورة؛ فقد حكى الكسائي[٢] عن بني عقيل[٣] وبني كلاب[٤] أنهم يقولون: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ العاديات: ٦، بسكون الهاء وكسرها من غير إشباع[٥]، ويقولون: له مال، بالإسكان والاختلاس[٦].

وقال الفراء؛ وهو من جِلَّة النحاة واللغويين: من العرب من يجزم الهاء إذا تحرك ما قبلها، فيقولون: ضربتُهْ ضرباً شديداً، فيسكنون الهاء كما يسكنون الميم من أنتم وقمتم، وأصلها الرفع[٧]. وأنشد:-

لما رأى ألا دعهْ ولا شِـــبَعْ مال إلى أرطاة حقفٍ فالْطجعْ[٨]

---

(١) البيت ليعلى بن الأحول الأزدي. ينظر: خزانة الأدب (٥/٢٦٩-٢٧٥)، ولسان العرب (مطا) ٤٧٧٢، والخصائص (١/١٢٨).

(٢) هو: أبو الحسن، علي بن حمزة الكسائي الأسدي مولاهم، إمام الكوفيين في اللغة والنحو، وأحد القراء السبعة، كان بحراً في العربيَّة والنحو والقراءات، مات سنة (١٨٩)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار (١/٨٦)، سير أعلام النبلاء (٩/١٣١).

(٣) هو بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ينظر: جمهرة أنساب العرب (٢/٢٩٠).

(٤) هم: بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. ينظر: جمهرة أنساب العرب (٢/٤٦٩).

(٥) لم أقف على هذه القراءة رغم البحث عنها في كتب شواذ القراءات.

(٦) الإشباع هو: إتمام الحركة من غير زيادة؛ حتى لا يتولد من ذلك حرف زائد.
والاختلاس هو: الإسراع بالحركة وخطفها، ويقدر بثلثي الحركة. ينظر: الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ص (٢٣٨)، إبراز المعاني لأبي شامة ص (٤٢).

(٧) ينظر: معاني القرآن (١/٢٢٣)، ونقله الرازي في التفسير الكبير (٨/١١١).

(٨) البيت لمنظور بن مرثد، وهو في المحتسب (١/١٢٤)، والخصائص (١/٦٣)، والمخصص (٨/٢٤). والأرطأة: واحدة الأرطى وهو شجر ذو ثمر، ينبت بالرمل ورائحته طيبة. والحقف: ما اعوج من الرمل. والبيت في وصف ذئب. ينظر: لسان العرب (٧/٢٥٤) مادة: (أرط)، (٩/٥٢) مادة: (حقف).

قلتُ: وهذا البيت الذي أنشده الفراء ليس مما نحن فيه في شيء، لأن الهاء في «دعه» مبدلة من تاء التأنيث التي في الوصل، فقلبها هاءً إجراءً لها مجراها في الوقف، وكلامنا إنما هو في الهاء التي للضمير، وأما الهاء المبدلة من تاء التأنيث فلا حَظَّ لها في الحركة، ولذلك لم ترم ولم تشمَّ في الوقف. وقد اجترأ الزجاج على هذه القراءة ونسب رُوَاتها إلى الغلط فقال: هذا الإسكان الذي روي عن هؤلاء غلط بيِّنٌ، لأن الهاء لا ينبغي أن تجزم / وإذا لم تجزم فلا تسكن في الوَصْل. وأما أبو عمرو فأراه كان [٣٧/أ] يختلس الكسرة فغُلط عليه كما غُلط عليه في ﴿بَارِئِكُمْ﴾ البقرة: ٥٤، وقد حكى عنه سيبويه[(١)] وهو ضابط لمثل هذا أنه كان يكسر كسراً خفيًّا، يعني يكسر في ﴿بَارِئِكُمْ﴾ البقرة: ٥٤، كسراً خفيًّا فظنه الراوي سكوناً[(٢)].

وهذا الرد من الزجاج غلط؛ لأنه فرَّ من الإسكان إلى الاختلاس، والإسكان عندهم أحسن من الاختلاس، قالوا: لأن فيه إجراء الوصل مجرى الوقف إجراءً كاملاً، بخلاف الاختلاس، نص على ذلك أبو الحسن بن عصفور[(٣)]، وجعل قول الشاعر:

.... **لأن عيونه سيل** .....[(٤)]

---

(١) ينظر: الكتاب (٢/٢٩٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/٢٩١)، ونقله ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٦٠) وفيه (خفيفاً) (خفيفاً) بدل (خفياً)، ونقله أيضاً الرازي في التفسير الكبير (٨/١١١).

(٣) علي بن مؤمن بن محمد بن علي، أبو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي، كان كان أصبر النَّاس على المطالعة، لم يؤخذ عنه غير النحو، من مصنفاته: "شرح الجمل الكبير" و"الممتع في التصريف"، مات سنة (٦٦٣)هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص (٢١٨)، بغية الوعاة (٢/٢١٠).

(٤) البيت لم اهتد قائله، قال ابن جني في سر صناعة الإعراب (٢/٣٥٨) رويناه عن قطرب، وهو أيضاً في الخصائص (١/١٢٨)، المحتسب (١/٢٤٤)، ضرائر الشعر لابن عصفور ص (١٢٤)، خزانة الأدب (٥/٢٧٠). والمعنى: أي: يرتوي مما به من عطش من عيون الماء السائلة في الوادي. والشاهد فيه "واديها" حيث زيدت الألف بعد هاء الضمير للدلالة على التأنيث.

أحسن من قول الآخر:

..... **ما حجَّ ربُّه بيت الله واعتمرا**[١]

حيث سكن الأول واختلس في الثاني[٢].

وكان الزجّاج يضعف في علم اللغة وإن كان قويًّا في النحو، ولذلك خطأ ثعلباً[٣] في مواضع من كتابه الفصيح؛ فخطّأه الناس في ذلك[٤].

وقال بعضهم[٥]: إن الفعل لما كان مجزوماً، وحلت الهاء محل لامه جرى عليها ما يجري على الفعل من التسكين للجزم. وهذا كلام ضعيف متهافت. وأما قراءة قالون فإنه أتى فيها ببعض الحركة، وأنشدوا شاهداً لها:

وأغبر الظهر يُنبي عن وليته ما حج ربه بيت الله واعتمرا[٦]

ويروى: ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا. وقد تقدم أنها لغة عقيل وكلاب كما حكاه الكسائي.

---

(١) البيت لرجل من باهلة. وصدره: ((أو معبر الظهر ينبي عن وليته))، ينظر: الكتاب (٣٠/١)، ضرائر الشعر لابن عصفور ص (١٢٤)، خزانة الأدب (٢٦٩/٥).

(٢) ينظر: ضرائر الشعر لابن عصفور الإشبيلي ص (١٢٤).

(٣) أحمد بن يحيى بن يزيد الشَّيباني مولاهم، أبو العباس البغدادي، الشهير بـ (ثعلب) إمام النحو، له: "الفصيح"، "معاني القرآن"، توفي سنة (٢٩١)هـ. ينظر سير أعلام النبلاء (٥/١٤)، بغية الوعاة (٣٩٦/١).

(٤) هذا النقل من البحر المحيط (٥٢٤/٢)، وينظر: اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة ص (٧٣٩).

(٥) أي في الآية التي يعربها: (يؤده).

(٦) ينظر: ضرائر الشعر ربن عصفور ص (١٢٤)، وخزانة الأدب (٢٦٩/٥).

وقرأ الزهريُّ[(١)]: «يؤدهُو» بضم هاء الكناية والصلة[(٢)]، وسلّام[(٣)] كذلك غير أنه اختلس فهما نظيرتا «يؤده» و«يؤده»[(٤)] إشباعاً واختلاساً مع الكسر[(٥)]. وقد تقدم أن الضم هو الأصل وأنها لغة الحجاز، وعليه قراءة حمزة[(٦)]: ((لأهلهُ امكثوا)) طه:١٠، وقراءة حفص[(٧)]: ﴿عَلَيَّهُ ٱللَّهَ﴾ الفتح: ١٠، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا﴾[(٨)] الكهف: ٦٣، ٦٣، وقُرِئ: «**فخسفنا بهُو وبدارهُو الأرض**»[(٩)] القصص٨١. واعلم أن هذه الهاء متى جاءت بعد فعل مجزوم أو أمر معتلّ الآخر جرى فيها ثلاثة أوجه: الإشباع -وهو الأصل-، والإسكان، والاختلاسُ، نحو الآية الكريمة، ومثله: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر: ٧، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ النساء: ١١٥، والسرّ فيه أن الهاء التي للكناية متى

---

(١) هو: الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب القرشي، الزهري، عالم الحجاز والشام، توفي سنة (١٢٥)هـ وقيل غير ذلك. ينظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي (٢١٩/٢)، تهذيب التهذيب (٣٩٥/٩).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١٦٦/١)، البحر المحيط (٥٠٠/٢).

(٣) هو أبو المنذر سلام بن سليمان الطويل المزني البصري، ثم الكوفي، ثقة جليل، أخذ القراءة عرضاً عن عاصم ابن أبي النجود وأبي عمرو بن العلاء، قال عنه الذهبي: ثبت في القراءة، لا بأس به في الحديث، مات سنة (١٧١)هـ. ينظر: ذكر مَن تُكلِّم فيه وهو موثق للذهبي ص (٩٠)، غاية النهاية (١٣٦/١).

(٤) في «الدر المصون» للمصنف (٢٦٥/٣): يؤدهي ويؤده. وهي أوضح في المراد.

(٥) قراءتان شاذتان، ينظر: شواذ القراءات ص (١١٥)، الجامع لأحكام القرآن (١٧٧/٥)، إعراب القراءات الشواذ (٣٢٨/١).

(٦) قراءة متواترة: ينظر: البدور الزاهرة ص (١٩٩).

(٧) قراءة متواترة: ينظر: البدور الزاهرة ص (٢٩٧).

(٨) قراءة متواترة: ينظر: البدور الزاهرة ص (١٩٢).

(٩) قراءة شاذة. ينظر: الدر المصون (٦٩٦/٨)، والمشهور كسر هاء الكناية في "به" و"بداره" لأجل كسر ما قبلها. وقراءة الضم هي الأصل، وهي لغة الحجاز.

وقعت بعد متحرك كان الفصيح الشائع إشباعها، وإن وقعت بعد ساكن مطلقاً - أعني كونه صحيحاً أو مُعْتلاً- فالأشهر فيها / الاختلاس[(١)]. [٣٧/ب]

وأنشدوا أيضاً:-

أنا ابن كلابٍ وابن أوسٍ فمن يكن قناعــه مغطــياً فإني لمجتلي[(٢)]

وقول الآخر:

لــه زجــَل كــأنه صَوْتُ حــادٍ .....[(٣)]

وإذا عُلم ما قررناه؛ فنقول: إن نظرنا إلى لفظ ما اتصلت به الهاء؛ وهو أنها بعد حركة؛ أشبعنا، وإن نظرنا إلى الأصل ففي الحقيقة هي بعد ساكن حذف جزماً فيجوز فيها الاختلاس، وأما الإسكان فجرياً به مجرى الوَقْفِ، والله أعلم.

والباء في ﴿بِقِنطَارٍ﴾، وفي ﴿بِدِينَارٍ﴾، فيها ثلاثة أوجه[(٤)]:-

أحدها: أنها على بابها من الإلصاق، وهو قَلِقٌ.

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (١/١٦٦).

(٢) لم اهتد إلى قائله وهو في معاني القرآن (١/٢٢٣)، والإنصاف ص (٥١٨)، واللسان: (غطى). والمراد: أنه نابهُ الذكر. والشاهد: "قناعه".

(٣) صدر بيت وعجزه: إذا طلب الوسيقة أو زمير، والبيت للشماخ في ديوانه ص (٣٦)، والخصائص (١/١٢٧)، والإنصاف ص (٥١٦). والوسيقة: أنثى الحمار، والزمير: الغناء في القصبة. ينظر: لسان العرب (١٠/٣٨٠) مادة: (وسق)، (٤/٣٢٨) مادة: (زمر).

(٤) هذه الباء تعود إلى مسألة مشهورة في كتب النحو؛ وهي: "نيابة حروف الجر عن بعض" ومن الشواهد التي يذكرونها في المسألة هذه الآية، وقد بسط الحديث عنها الدكتور: بدر بن ناصر البدر؛ في رسالته العلمية "اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة" ص (٥٢٧)، وخلاصة ما ذكره أن الظاهر أنه لا أحد يرى أن الحروف تتناوب في كل حال، وقال: وهذا ذهب إليه ابن جني، وهو أيضاً مذهب الكوفيين ومن وافقهم، إذ أنهم يقتصرون على المسموع، ولا يقيسونه على جميع الأحوال، وأما من يقول بالنيابة في جميع الأحوال فهذا يلزمه الدليل. .

والثاني: أنها بمعنى على؛ لأن هذه المادة تتعدى بها[(١)]، قال تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يوسف: ١١، ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ يوسف: ٦٤.

الثالث: أنها بمعنى في، قيل: ولا بد حينئذٍ من حذف مضاف، أي: في حفظ قنطار، ففيه تجوّز في الحرف والحذف[(٢)].

وقوله: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ أي: لا يؤده إلا في هذا الوقت، وهو وقت ملازمتك له وطلب خلاص حقك منه، وذلك لأنه خائن طماع قد شريت نفسه ما ائتمنه عليه[(٣)]. قال الزمخشري: إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق، قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة والتعنيف، أو بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه[(٤)]. وذهب السُّدّي لمثل هذا المعنى فقال: «قائماً على رأسه»[(٥)]. وهي هذه الهيئة المعروفة، وذلك نهاية الخفر[(٦)] لأن معنى ذلك أنه في صدر شغل آخر يريد أن يستقبله[(٧)].

وعلى هذا التفسير ابتدع العلماء من الآية الكريمة العقوبة بالحبس[(٨)]؛ لأنه لا معنى لملازمة الغريم غريمه إلا منعه من تصرفاته حتى يقضيه حقه، والحبس هو ذاك

---

(١) ينظر: زاد المسير (١/٢٩٥).

(٢) ينظر لهذه الأوجه في جامع البيان (٥/٥٠٨)، والتفسير الكبير (٨/١١١).

(٣) ينظر: تفسير ابن المنذر (١/٢٦٠) ذكر هذا المعنى عن عكرمة، التفسير الكبير (٨/١١٢).

(٤) الكشاف (١/٤٠١).

(٥) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٨٣) من طريق أحمد بن المفضل به، ونسبه إليه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٦١)، والرازي في التفسير الكبير (٨/١١٢)، وينظر أيضاً: النكت والعيون (١/٤٠٣)، زاد المسير (١/٤٠٩).

(٦) معنى الخَفْر هنا: المنع، ينظر: لسان العرب (خفر) (٤/٢٥٣).

(٧) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٦١).

(٨) نسبه لجماعة من الفقهاء ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٦١)، ونسبه لأبي حنيفة ابن العربي في أحكام القرآن (١/٣٢٢)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/١٧٨). قال ابن العربي: تعلق به أبو حنيفة في ملازمة الغريم للمفلس، وأباه سائر العلماء، ولا حجة لأبي حنيفة فيه، لأن ملازمة الغريم المحكوم بعدمه لا فائدة فيها، إذ لا يُرجى ما عنده.

بعينه، غاية ما فيه أنه في موضع بعينه[(١)]، وقد فعله عمر[(٢)]، وابتنى علي -رضي الله عنه- سجناً وسماه مُخَيّساً، وأنشد:

[أما تراني كَـيِّساً مكيسا بَـنَيْتُ بعد نافع مُخَـيّسا[(٣)][(٤)]]

وذهب قتادة[(٥)] ومجاهد[(٦)] والزجاج[(٧)] وابن قتيبة[(٨)] والفراء[(٩)] إلى أن المعنى على المعنى على التقاضي بجد، وليس المراد القيام على هذه الهيئة الخاصة مكانه. قال: إلا ما دمت عليه قائماً بالمطالبة والحفز وأنواع الملازمة حتى يعطي الحق الذي عليه[(١٠)].

[٣٨/أ] وقيل: قائماً عنده فيستحي منك ويهابك ويراعيك فإذا غبت / عنه خالف ذلك كله[(١١)].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٦١).

(٢) هو عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو من الصحابة المشهورين.

(٣) القائل هو على بن أبي طالب -رضي الله عنه-. ونافع: سجن بالكوفة كان غير مستوثق البناء وكان وكان من قصب، وكان المحبوسون يهربون منه. وقيل: إنه نقب وأفلت منه المحبوسون، فهدمه على -رضي الله عنه- وبنى المخيس لهم من مدر.

(٤) هذا البيت لم يذكره المصنف وترك هاهنا سطراً بياضاً، فلعله لم يستحضر بيت الشعر وقت وقت كتابته، واستدركته من تفسير القرطبي (١٠/١١٢) ليتضح السياق.

(٥) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥٠٩) بلفظ: "إلا ما طلبته واتبعته"، وورورى نحوه ابن أبي أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٤٧)، وأخرج نحوه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٢٣).

(٦) رواه الطبري في جامع البيان (٥/٥٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٤٧)، وهي في تفسير مجاهد (١/١٢٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٤) إلى عبد بن حميد، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/٢٩٦).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (١/٤٣٣)، ونسبه له في زاد المسير (١/٢٩٦).

(٨) تأويل مشكل القرآن ص (١١٥)، ونسبه له في زاد المسير (١/٢٩٦).

(٩) معاني القرآن للفراء (١/٢٢٤)، ونسبه له في زاد المسير (١/٢٩٦).

(١٠) وهذا هو اختيار الطبري في جامع البيان (٥/٥١٠)، ونسبه ابن عطية للزجاج وقتادة ومجاهد، واختاره أيضاً ابن العربي في أحكام القرآن (١/٣٧٨)، وينظر: النكت والعيون (١/٤٠٣)، زاد المسير (١/٢٩٦)، التفسير الكبير (٨/١١٢)، البحر المحيط (٢/٥٢٤).

(١١) ينظر: زاد المسير (١/٢٩٦) ونسبه للسدي، البحر المحيط (٢/٥٢٤).

و﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ ﴾، فيه وجهان:-

أحدهما: أنه استثناء مفرَّغ من الظرف العام؛ لأن ﴿ مَا ﴾ مصدرية ظرفية. والتقدير: لا يؤده إليك في جميع المدد والأزمنة إلا في مدة دوامك قائماً عليه متوكلاً به[(١)].

و﴿ دُمْتَ ﴾ هذه هي الناقصة العاملة عمل كان؛ من رفع الاسم ونصب الخبر، وشرط إعمالها تقدم ما المصدرية الظرفية، ولا تتصرف حينئذٍ، فأما قولهم: دام يدوم فتلك التامة بمعنى بقي يبقى. ولكونها صلة لـ «ما» الظرفية المصدرية احتاجت إلى كلام معها يكون عاملاً في الظرف، نحو: لا أصحبك ما دمت خائناً.

وكقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ المائدة: ١١٧، أي: مدة دوامي فيهم، ولها أحكام استوفيناها في غير هذا.

والثاني: أنه استثناء من الحال العام، إذ التقدير: لا يؤده إليك في جميع الأحوال إلا في حال قيامك عليه مطالباً له، فـ ﴿ مَا ﴾ حينئذٍ مصدرية فقط غير ظرفية؛ لأن المصدر كثر وقوعه موقع الحال، ودام على هذا تامة ترفع الفاعل، فيكون المنصوب بعدها حالاً على حدّ: إلا ما بقيت عليه قائماً[(٢)]. ويقال: دام يدُوم دواماً، كقام يقوم مقاماً، ودمتُ أدوم، بضم الدال في الماضي كقمت أقوم، وهذه لغة الحجاز، وتميم يقولون: دِمت بكسر الدال[(٣)]، وبذلك قرأ جماعة[(٤)]؛ منهم: الأعمش،

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (١١٢/٨)، البحر المحيط (٥٢٥/٢)، الدر المصون (٨٣٨/١).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٢/١)، الإملاء (١٤٠/١).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢٢٣/١)، معاني القرآن وإعرابه (٢٩٢/١).

(٤) قراءة شاذة. ينظر: المختصر لابن خالويه ص (٢١)، شواذ القراءات ص (١١٥)، الكامل في القراءات ص (٥١٦)، المحرر الوجيز (٢٦٠/٢)، وقد ذكر النحاس أن في توجيه (مِتّ) -بالكسر- قولين: قول سيبويه: "أنه شاذ جاء على مِتّ تموت...". وقول الكوفيين الذين قالوا: "من قال: مِتّ قال: يمات، مثل: خفت تخاف. ومن قال مُتّ قال: يموت..."، واستحسن النحاس قولهم. إعراب القرآن (١٦٦/١).

والسلمي[(١)]، وابن وثاب، والفياض بن غزوان[(٢)]، وطلحة[(٣)]. قال الفراء: وهذه لغة تميم، ويجتمعون في المضارع فيقولون: يدوم.

يعني أن الحجازيين والتميميين اتفقوا على ضم العين من مضارعه، وكان من حق التميميين أن يقولوا: يدام، كخاف يخاف، ومات يمات[(٤)].

هذا نقل الفراء، وأما غيره -كالزمخشري والراغب- فإنهم نقلوا أن من قال: دِمت -بالكسر- قال: أدامُ، كمِتُّ أمات، وهذا هو القياس، وإلا يكون من باب التداخل[(٥)]، كركن يركن، ونحوه[(٦)].

---

(١) هو: عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبدالرحمن السلمي الضرير، مقرئ الكوفة، إليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً، توفي (٧٤)هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار (٢٥/١)، غاية النهاية (٤١٣/١).

(٢) هو فياض بن غزوان الضبي الكوفي، مقرئ موثق، قال الداني: ويروى عنه حروف شواذ، من اختياره تضاف إليه، وثقه أحمد بن حنبل وغيره، ولينه البخاري قليلاً. ينظر: الجرح والتعديل (٨٧/٧)، لسان الميزان (٤٥٥/٤)، غاية النهاية (٢٨١/١)، طبقات القراء (١٣/٢).

(٣) هو: أبو محمد طلحة بن مصرف بن عمرو الهمداني الكوفي المقرئ، أخذ القراءة عن يحيى بن وثاب والأعمش، له اختيار في القراءة، مات سنة (١١٢)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩١/٥)، غاية النهاية (١٥٠/١).

(٤) معاني القرآن للفراء (٢٢٣/١)، وينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٢/١)، المحرر الوجيز (٢٦٠/٢).

(٥) جوَّز ابن جني أن تكون هذه المسألة من تداخل لغات العرب، وشرح ذلك بقوله: "... فيكون بعضهم بقوله: مِتَّ تمات، وبعضهم يقول: مُتَّ تموت، ثم سمع من أهل لغةٍ الماضي، وسمع من أهل لغة أخرى المضارع، فتركبت من ذلك لغة أخرى" ينظر: المنصف (٢٥٦/١).

(٦) الكشاف (٤٠١/١،) المفردات مادة (دوم) ص (٣٢٢).

و﴿ عَلَيْهِ ﴾ متعلق بـ ﴿ قَآئِمًا ﴾. و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه قوله: ﴿ لَا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ آل عمران: ٧٥، إلى آخره، أي ترك / الأمانة متسبَّبٌ عن [٣٨/ب] هذه المقالة[(١)]، والباء سببية، أي ذلك الترك بسبب قولهم كذا[(٢)].

ورُوي: «أنه بايع بعضُ العرب بَعْضَ اليهُود فأودعهم العرب ودائع يحفظونها لهم، فلما أسلمت العرب جحدهم اليهود تلك الودائع وقالوا: إنا نجد في كتابنا: ليس علينا في الأميين، أي التابعين للنبي الأمي»[(٣)].

وقيل: قالوا لهم: «قد خرجتم من دينكم الذي بايعناكم عليه، وفي كتابنا لا حرمة لأموالكم، فنزلت مكذبة لهم»[(٤)].

ويروى: «أن بني إسرائيل كانوا يستحلّون أموال العرب لكونهم عبدة أوثان، فلما أسلم من العرب من أسلم استصحبوا ذلك الاعتقاد، فنزلت هذه الآية مانعة من ذلك»[(٥)].

---

(١) ينظر: زاد المسير (١/٢٩٦).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥/٥١٠)، التفسير الكبير (٨/١١٢).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٥١٠)، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٦١) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٨٤) بسنديهما عن ابن جريج، وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/٤٠٣)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/٥٦) عن الحسن وابن جريج ومقاتل، وذكره أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٦١).

(٤) ينظر: جامع البيان (٥/٥١٠).

(٥) روى الطبري في جامع البيان هذا المعنى عن ابن عباس، وقتادة، والسدي، وليس فيها: فنَزلت الآية مانعة من ذلك (٥/٥١٠)، وذكر نحوه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/٢٦١). ورجح أبو حيان في البحر المحيط أن عود الضمير في (بأنهم) يعود على (مَنْ) في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ آل عمران: ٧٥. وذكر هذا القول والذي قبله أي أنه عائد على اليهود، والآخر على لفيف بني إسرائيل. وبالتأمل في الأقوال المذكورة نلحظ أن مؤداها واحد، فالقول بعوده على (مَنْ) يفضي إلى القول بعوده إلى اليهود (وهم لفيف بني إسرائيل). وينظر: ترجيحات أبي حيان في التفسير ص (١٩٣).

وقال الزمخشري: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه ﴿لَا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾، أي: تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾، أي: لا يتطرق إلينا عتاب وذم في شأن الأميين، يعني الذين ليسوا أهل كتاب، وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا، وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم، ويقولون: لم يُجعل لهم في كتابنا حرمة[(١)]. وقيل: «بايع اليهود رجالاً من قريش، فلما أسلموا تقاضوهم، فقالوا: ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم، وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم»[(٢)]. وعن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها: «**كذب أعداء الله، ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدميَّ إلا الأمانة، فإنها مؤدّاة إلى البَرّ والفاجر**»[(٣)]. وعن ابن عباس أنه سأله رجل فقال: «إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة، الدجاجة والشاة؟ قال: فيقولون: ماذا؟ قال: نقول: ليس علينا في ذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾، إنهم إذا

---

(١) الكشاف (٣٦٧/١)، وينظر: التفسير البسيط (٣٦٧/٥)، المحرر الوجيز (٢٦١/٢)، التفسير الكبير (١١٢/٨).

(٢) رواه الطبري في جامع البيان (٥١٢/٥) بلفظ مقارب، وذكر نحوه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢٩٢/١)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦٨٤/٢) من طريق ابن جريج، وابن الجوزي في زاد المسير عن قتادة، والسدي، وابن جبير، وغيرهم.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان عن سعيد بن جبير (٥١١/٥)، وابن المنذر في تفسيره (٢٦٢/١) عن سعيد أيضاً، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٩/٢) من طريق يعقوب القمي به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤/٢) إلى عبد بن حميد، قال عنه ابن حجر في الكاف الشاف ص (٢٦) أنه مرسل، وجوّد إسناده إلى سعيد بن جبير الشيخ أحمد شاكر (٤٧٣/١)، وضعفه أ.د. حكمت بشير (٣٤٩/٢)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للطبري في التفسير ص (٨١٢)، والجملة الأولى من الحديث " ما من شيء ..." ثابتة من حديث جابر في صحيح مسلم في كتاب الحج، باب: حجة النبي ﷺ (١٢١٨) ص (٥٠٥)، والجملة الثانية في وجوب أداء الأمانة تدل عليها الآيات والأحاديث.

أدّوا الجزية لم يحل أكل أموالهم إلا بطيب أنفسهم»[(١)]. انتهى. ونقل الكلبي أن اليهود قالوا: «إن الأموال كلها كانت لنا، فما في أيدي العرب منها فهو لنا، وإنهم ظلمونا وغصبونا، ولا سبيل علينا في أخذ أموالنا منهم»[(٢)]. وقيل: «إنهم لما خرجوا من دينهم الذي كانوا عليه إلى الإسلام صاروا عندهم كالمرتدين / فمن [ثَمَّ][(٣)] استحلوا [٣٩/أ] أموالهم»[(٤)]. والسبيل في الأصل الطريق، ويذكر ويؤنث، ثم عبّر بها عن الحجة، أي: ليس علينا حجة في ذلك[(٥)].

وقيل: الطريق الموصل إلى الإثم[(٦)]، ومنه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الشورى: ٤١-٤٢ الآية، ومنه: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُ﴾ التوبة: ٩٣، ومثله قول حميد بن ثور[(٧)]:

وهل أنا إن عللت نفسي بسرحة ... من السَّرْح مَوْجود عَليَّ طريقُ[(٨)]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١/١٢٣)، وأخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٥١٣) من طريق عبد الرزاق وصحح إسناده أحمد شاكر، وابن المنذر في تفسيره (١/٢٦١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٣٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/١٦١٨)، وينظر: الكشاف (١/٣٧٥)، المحرر الوجيز (٢/٢٦٢)، أحكام القرآن (١/٣٧٨)، البحر المحيط (٢/٥٢٥).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٣/٩٦)، معالم التنزيل (١/٤٥٨)، المحرر الوجيز (٢/٢٦٢)، أحكام القرآن لابن العربي (١/٣٧٨)، التفسير الكبير (٨/١١٣).

(٣) ليست في المخطوط، وزدتها لا تساق الكلام.

(٤) ينظر: التفسير الكبير (٨/١١٣).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٦٢).

(٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (١/١٦٦)، زاد المسير (١/٢٩٦).

(٧) هو أبو المثنى حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري شاعر مخضرم، شهد حنيناً مع المشركين، أسلم ووفد على رسول الله ﷺ، مات سنة (٣٠)هـ. ينظر: أسد الغابة (٢/٧٦)، الإصابة (٢/١٢٦).

(٨) البيت لحميد بن ثور كما في مصادر ترجمته رضي الله عنه. والسرْحة: شجرة من شجر العضاة التي تعرفها العرب، ويكنى بها عن النساء. ويروى: (مسدود) بدلاً من (موجود). ينظر: المحرر الوجيز (٢/٢٦٢)، الحلل في شرح أبيات الجمل (١/١٠٣)، معجم الأدباء (٣/٢٦٥)، لسان العرب (٢/٤٨٠) مادة: (سرح).